

العنوان: أحداث بلاد طرابلس الشام : 1015 - 1016 هـ /
1606 - 1607 م

المصدر: مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

الناشر: مجمع اللغة العربية

المؤلف: البخيت، عدنان
الرئيسي:

المجلد/العدد: مج 1, ع 1

محكمة: نعم

التاريخ الميلادي: 1978

الصفحات: 171 - 206

رقم MD: 154269

نوع المحتوى: بحوث ومقالات

قواعد المعلومات: AraBase

مواضيع: الإسلام و النصرانية، طرابلس الشام، الأحوال السياسية، الأحوال الاقتصادية، أحوال المسلمون، المسيحيون، العصر العثماني، عصر الضعف و الانحطاط، الصراع الاجتماعي، ابن كرامة ، مصطفى جمال الدين، ابن جنبلاط ، علي، البوريني ، حسن بن محمد، دمشق، تاريخ سوريا، تاريخ لبنان

رابط: <http://search.mandumah.com/Record/154269>

9

© 2020 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الإلكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

أحداث بلاد طرابلس الشام

١٠١٥ هـ / ١٠١٦ م
للكوثر عدنان البخيت
١٦٠٦ م / ١٦٠٧ م

بُعِيدُ نهاية القرن السادس عشر الميلادي بدأت السلطنة العثمانية تعاني من أسباب الضعف والانحطاط (١) ؛ ومن مظاهر هذا الضعف كثرة حركات العصيان التي أصبحت تلتف مختلف الولايات العثمانية، حيث كان من أبرزها الحركة الجلالية التي اكتسحت بلاد الاناضول، مستغلةً المظالم الاجتماعية التي كانت قد لحقت بريف تلك الهضبة (٢). ولم تكن هذه الحركة لتتروك دون أن تترك لها أثرا على المناطق الشامية، خاصةً المحاذية لها كحلب وبلاد طرابلس الشام (٣). ولعلّه من المفيد

(١) حول أسباب ضعف الدولة العثمانية في أواخر القرن السادس عشر انظر :
Lewis, Bernard, *The Emergence of Modern Turkey*, 2nd edition, Oxford University Press, 1968, pp. 21 - 39, Inalcik, Halil, *The Ottoman Empire: The Classical Age 1300 - 1600*, Weidenfeld and Nicolson, London, 1973, pp. 41 - 52.

(٢) حول الحركة الجلالية انظر دراسة :
Mustafa Akdag, *Türk Halkının Dirlik Ve Düzenlik Kavgası*, Bilgi Yayınları, Ankara, 1975.

وكذلك رسالة

Grisswold, W. J., *Political Unrest and Rebellion in Anatolia 1605 - 1609*
Ph. D. Thesis, University of California, Los Angeles, 1968.

(٣) حول هذا الموضوع : انظر مزيدا من التفصيلات في الترجمة التي أوردتها حسن ابن محمد البوريني (ت ١٠٢٤ هـ / ١٦١٥ م) لعبد الطليم اليازجي « الباغى الخارجى » (ت ١٠١٠ هـ / ١٦٠١ م) ، تراجم الاعيان من أبناء الزمان ، م ٢ ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٩٥٩ ، ١٩٦٢ م ، م ٢ ، ص ٢٥٩ - ٢٧٠ ، كذلك انظر : المحبي ، محمد أمين (ت ١١١١ هـ / ١٦٩٩ م) ، خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر ، م ٤ ، تصوير دار صادر بيروت ، لا . ت . م ٢ ، ص ٣٢٢ - ٣٢٤ .

هنا إن ننظر أن السلطنة العثمانية، انسجما مع سياستها التقليدية (٤) ، لم تلغ الزعامات المحلية المتعاونة معها في بلاد الشام بعد ضم هذه البلاد إلى الدولة العثمانية في عهد السلطان سليم الأول، بعد معركة مرج دابق (٢٥ رجب ٩٢٢ هـ / ٢٤ آب ١٥١٦ م) ، إذ أن معظم هذه الزعامات حافظت على وجودها مستكينة إبان قسوة الدولة ضمن الاطار العثماني . إلا أنها بدأت تتحرك في الربع الأخير من القرن السادس عشر، لتوسع من دائرة نفوذها على حساب السلطة العثمانية المحلية ، ولكن ليس بقصد الاستقلال عن السلطنة العثمانية . ولقد استفادت من انشغال الدولة العثمانية في حروبها الطويلة المستديرة على الجبهتين الصفوية والنمساوية، بالإضافة إلى الخسائر التي تكبدها العثمانيون في اخضاع حركات التمرد والعصيان في اليمن وفي غيرها (٥) . من بلدان سلطنتهم . كما أنه كان قد ترتب على انتصار تحالف البابوية واسبانيا والبندقية في معركة ليبانتو Lepanto البحرية، في السابع من تشرين الأول سنة ١٥٧١ م، أن قسوة الدولة العثمانية البحرية، من حيث العدد والعدة والنوعية والحالة النفسية، قد أصبحت دون مستوى الاساطيل الأوروبية (٦) ، وأن الدول الأوروبية ، خاصة الكاثوليكية منها ، قد عاودتها من جديد الفكرة

(٤) انظر مقالة :

Inalcik, H., "Ottoman Methods of Conquest", *Studia Islamica*, Vol. II (1954), pp. 102 - 29.

(٥) انظر :

Bakhit, M. A., *The Ottoman Province of Damascus in the 16th Century*. Ph. D. Thesis, SOAS, London, 1972, pp. 186 - 221.

(٦) حول معركة ليبانتو انظر :

Creasy, Edward S.,

History of the Ottoman Turks, Reprint, Khayats, Beirut, 1961, pp. 219-22.

Inalcik, H. *The Ottoman Empire*, pp. 41 - 42.

كذلك انظر التحليل العسكري لهذه المعركة من الناحية الحربية في دراسة :

Guilmartin JR., John Francis, *Gunpowder and Galleys; Changing Technology and Mediterranean Warfare at Sea in the Sixteenth Century*, Cambridge University Press, 1974, pp. 221 - 252.

الصليبية المستهدفة استخلاص فلسطين من أيدي المسلمين ، ولكن هذه المرة ليس بارسال حملات من أوروبا بل بالاعتماد على بعض القوى المحلية من الاقليات العرقية والمذهبية لتنفيذ هذا المخطط (٧) . وكان من أبرز هذه القوى الأسرة المعنية الدرزية، والأسرة الجانيولاطية الكردية في كلس واعزاز . ولقد وسَّعت الاسرة الأخيرة من دائرة نفوذها بحيث أنيطت ولاية حلب في مطلع القرن السابع عشر بزعميها، آنذاك، حسين باشا جانيلاط، الذي نتيجة لتكثفه في الانضمام الى حملة الوزير سنان باشا جفال زاده ضد الشاه عباس الاول (٩٦٦ هـ / ١٥٨٨ م - ١٠٣٨ هـ / ١٦٢٩ م) أمر الوزير المذكور بقتله في بلدة وان التركية سنة ١٠١٤ هـ / ١٦٠٥ م (٨) .

(٧) حول هذه الخطة انظر :

Salibi, K. "The Sayfas and the Eyalet of Tripoli" Arabica, Vol. xx, (1973), p. 33.

انظر أيضا لنفس المؤلف ، « نحر الدين المعني الثاني والفكرة اللبنانية » ، ابعاد القومية اللبنانية ، منشورات جامعة الكسليك ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ٨٥ - ١١١ .

لمزيد من التفصيلات حول هذه الخطة انظر أيضا ما نشره الأب بولس قمراني :

١ - « نحر الدين الثاني وعلاقته بفرناند الاول وقزما الثاني أمير تسكانيا » ١٦٠٥ - ١٦٢١ ، حريصا ١٩٢٨ .

٢ - « كتابه الثاني » نحر الدين المعني أمير لبنان وفرناند الثاني أمير تسكانيا ١٦٢١ - ١٦٣٥ ، حريصا ١٩٢٨ .

(٨) حسين بن جانيلاط ، كردي الاصل، كان في ابتداء امره من الطائفة المسيحية المعروفة باسم المترقة، ثم خَلَف والده في امارة كلس، وتدرج في المناصب الى ان اوكلت اليه حلب، ولكنه ظلك في مساعدة الوزير سنان باشا في حملته الفاشلة على بلاد فارس ، وكان من نتيجة ذلك ان سنان باشا امر بقتله في بلدة وان التركية في سنة ١٠١٤ هـ / ١٦٠٥ م . البوريني ، المصدر ذاته ، م ٢ ، ص ٢٧١ . انظر المحبي ، خلاصة ، م ٢ ، ص ٨٤ - ٨٧ .

اما سنان يوسف باشا المعروف باسم جفال زادة ، فلقد تولى في العصر السلطاني ، وتولى عدة مناصب، منها ولاية ديار بكر في سنة ٩٩١ هـ / ١٥٨٣ م، كما تولى بعد ذلك بلاد وان وأرضروم وبغداد . وفي سنة ١٠٠٦ هـ / ١٥٩٧ م تولى بلاد الشام لبضعة اشهر . في سنة ١٠١٤ هـ / ١٦٠٥ م ، اوكلت اليه مهمة قيادة الجيوش العثمانية ضد بلاد فارس ، وكانت وفاته في نفس العام في ديار بكر ؛ انظر ترجمة حياته في محمد ثريا ، سجل عثماني ياخود تفكرة مشاهير عثمانيه ، اسطنبول سنة ١٣١١ م ، م ٢ ، ص ١١١ . كذلك انظر محمد بن جمعة المقار العنسي (ت ح ١١٥٦ هـ / ١٧٤٣ م) ، الباشات والقضاة ، نشره صلاح الدين النجد مع نصين آخرين باسم « ولاية دمشق في العهد العثماني » ، دمشق ، ١٩٤٩ م ، ص ٢٦ .

ولما وصل خبر مقتله الى حلب ثار ابن اخيه علي جانبلاط ،
 « ورفع علم العصيان ، وجمّع الطائفة الذين يقال لهم السكبانة حتى
 صار عنده منهم ما يزيد على عشرة آلاف ، ومنع مال السلطنة (٩) » . في
 اثناء ذلك كانت قوات الدولة العثمانية مشغولة في حرب ضروس مع
 امبراطورية النمسا ، كما ان قوات الجلالية الخارجة عن طاعة السلطان
 كانت تصول وتجول في بلاد الاناضول ؛ وكان قد سبق ذلك ان القوات
 العثمانية قد عادت خاسرة من حربها ضد الشاه عباس . في مثل تلك
 الظروف عرض الزعيم التركماني الاصل السنّي المذهب يوسف باشا
 سيفاً (ت ١٠٣٤ هـ / ١٦٢٥ م) صاحب عكّار ، والذي كان يؤلّي من
 حين لآخر بلاد طرابلس ، خدماته على السلطان ، على « ان يكون اميراً
 على عساكر بلاد الشام ، على ان تكون جميعته بحماة ، ويلتزم بازالة
 علي بك المذكور عن حلب » . فلما جاءه الإذن السلطاني بذلك ، أرسل
 يوسف باشا الى العساكر العثمانية في دمشق وفي غيرها من القلاع
 للملاقاة عند حماة . وعند التقاء الجانبين تمكّن علي بك ابن جانبلاط
 بسهولة تلفت النظر من الحاق الهزيمة بالعساكر العثمانية بقيادة
 يوسف باشا سيفاً ، الذي توجّه الى طرابلس الشام ليهرب منها بأمواله
 الى جزيرة قبرس ، ومنها الى حيفا ، ملتبجاً الى الامير أحمد الحارثي .
 ومن هناك عاد الى دمشق ليهرب منها الى طرابلس ، مقرّ سلطته .

ولحسن الحظ يتوافر لدينا نصّان لشاهدّي عيان لتلك الاحداث .
 صاحب النص الاول ، ويعرف باسم مصطفى بن جمال الدين ابن كرامة ،

(٩) البوريني المصدر ذاته ، م ٢ ، ص ٢٧١ ، لاحظ تعريف البوريني للسكبانة حيث
 يقول : « والسكبانة عبارة عن طائفة كان وضعهم ان الواحد منهم يحمل البندقية
 على ظهره ويقود الكلب في ساجوره ، ويمشي امام الامير او الكبير حين يسر الى
 الصيد . وهو للمظن نارسى مأخوذ من سك ، فاما سك فهو الكلب بلقنهم ، واما
 بيان فهو بمعنى الحامي ، أي حامي الكلب » م ٢ ، ص ٢٥٩ ؛ وكانوا يشكلون
 وحدة بارزة في فرقة الانتكارية . انظر :

Huart, CL. "Segban" E. L. , Vol. IV, pp. 203 - 4.

Gibb and Bowen, Islamic Society and the West, Oxford University
 Press, Reprint, 1963, vol. I, part I, pp. 59 - 61, p. 315.

من اهالي طرابلس الشام، كتب تعليقة حول ما اصاب مدينته نتيجة لحركة علي بن جانبلاط ؛ والنص الثاني للمؤرخ الدمشقي الشيخ حسن بن محمد البوريني (ت ١٠٢٤ هـ / ١٦١٥ م) الذي يصف لنا دقائق تلك الاحداث ومجرياتها كما كان يراها من دمشق . والنصان يكملان ويُعَضِّدان بعضهما البعض، ومن هنا جاءت ضرورة نشرهما معاً، حيث انهما ما زالا مخطوطين .

والذي يُهمُّنا هنا ان التعليقة التي بين ايدينا تُصَوِّر لنا مشاعر احد ابناء طرابلس، قاعدة السُّنة، ضمن اطار من الاقتليات الاسلامية والمسيحية ، كما انها تبين مدى الولاء القوي من جانب الرعية للسلطان، حيث ان من عصاه « قد اطاع الشيطان » . وتُصَوِّر لنا كذلك نظرة اهالي طرابلس ليوسف باشا سيفا ؛ وهي نظرة احترام، لأن معظم المصادر المتداولة بين ايدينا والمعروفة لدينا ، كتاريخ الازمنة للبطريك اسطفان الدويهي (ت ١٦٩٩ م) وتاريخ الامير حيدر احمد الشهابي (ت ١٨٣٥ م) واخبار الاعيان في جبل لبنان ، لطئوس الشدياق (ت ١٨٦١ م) ، قد اعتمدت المؤرخ السنّي ، الشيخ احمد بن محمد الخالدي الصندي (ت ١٠٣٤ هـ / ١٦٢٤ م) الذي كان معبراً عن وجهة نظر فخر الدين المعني الدرزي المتعاون مع العناصر المسيحية، خاصة المارونية منها ؛ بينما يوسف باشا سيفا ، كان سنياً ينعم بثقة ودعم الدولة العثمانية له ، رُبما الى درجة ان السكان كانوا ينظرون اليه على انه رجل الدولة ووكيلها (١٠) . كما ان هذه التعليقة تُبَيِّن

(١٠) حول مكانة اسطفان الدويهي وطئوس الشدياق في مدرسة التاريخ اللبناني الماروني انظر :

Salibi, Kamal, Maronite Historians of Medieval Lebanon, Beirut, 1959, Ibid., "The traditional Historiography of the Maronites", Historians of the Middle East, edited by Bernard Lewis and P. M. Holt, Oxford University Press, 1967, pp. 212 - 225.

انظر في نفس الكتاب بقالة
A. H. Hourani, "Historians of Lebanon" pp. 226 - 243.

حول أهمية دور أسرة آل سيفا في التاريخ المحلي ومن علاقتها مع القوى المحلية

لنا ان قسما من اهالي طرابلس الشام كانوا قد هَجَروا مدينتهم وركبوا البحر، لعلهم ان القوى المهاجمة هي قوى عاصية خارجة على طاعة السلطان ، خاصة وان قسما منها كان درزيا بقيادة فخر الدين المعني . ومما زاد في حراجة موقفهم، ان ذلك جاء في الوقت الذي كانت فيه الدولة مشغولة في اجتثاث الجلاية، ومشتبكة في حرب مع النمسا ، بالاضافة الى هزيمة العثمانيين امام الشاه عباس الاول، وما ترك ذلك من خيبة ومرارة . فلم يعد لدى سُكَّان طرابلس من حيلة الا الهروب الى اقرب الجزر .

يُعرف صاحب هذه التعليقة نفسه بايجاز كبير حيث يصف نفسه بقوله : « ... العبد الفقير مصطفى بن جمال الدين المدعو بابن كرامة » . وعند العودة الى مخطوط لطف السمر وقطف الثمر من تراجم الطبقة الاولى من القرن الحادي عشر (١١) ، لنجم الدين محمد الغزي (ت ١٠٦١ هـ / ١٦٥٠ م) والقسم غير المنشور من تراجم الاعيان من ابناء الزمان (١٢) ، للحسن بن محمد البوريني ، (ت ١٠٢٤ هـ / ١٦١٥ م) ، وخلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر، لمحمد امين الدين المحبي (ت ١١١١ هـ / ١٦٩٩ م) ، وشذرات الذهب في اخبار من ذهب لعبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م) فاننا لا نعثر على ذكر لهذا الشخص . زيادة على ذلك فان خير الدين الزركلي وعمر رضا كحالة لا يذكرانه في معجميهما . ولما الرحالة رمضان بن موسى ابن احمد المعروف بالعطيفي الدمشقي الحنفي (ت ١٠٩٥ هـ / ١٦٨٤ م) الذي زار طرابلس الشام سنة ١٠٤٣ هـ / ١٦٣٤ م فانه لا يذكر اسم

— الاخرى انظر مقالتي الدكتور كمال الصليبي :

Kamal S. Salibi, "Northern Lebanon Under the Dominance of Gazir", Arabica, Vol. XIV, (1967), pp. 144 - 166.

"The Sayfas and the Eyalet of Tripoli 1579 - 1640", Arabica, Vol. XX, (1973), pp. 25 - 52.

(١١) مخطوط المكتبة الظاهرية رقم ٤١ ، الاوراق ١٦٨ - ٢١٧ .

(١٢) المكتبة الوطنية، نيّسا Cod. Arab. 1190 Mixt 346

هذا الشخص من ضمن العلماء الذين قابلهم أثناء اقامته في طرابلس (١٣).
 الا ان الشيخ والقطب الصوفي عبد الغني النابلسي (ت ١١٤٣ هـ /
 ١٧٣١ م) يذكر في التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية، التي دُوِّنَ
 فيها اخبار رحلته في سنة ١١١٢ هـ / ١٧٠٠ م الى طرابلس ، أنَّ من
 بين من لقيه « ... الشيخ الفاضل والبارع الكامل الشيخ علي بن
 كرامة »، ويذكر في مكان آخر أن علي بن كرامة قد زاره : « فزارنا في
 هذا اليوم ايضا عدّة من الأفاضل المكرّمين والعلماء المدرّسين، منهم
 الشيخ الفاضل حاوي الفضائل الشيخ علي بن كرامة » . ويضيف
 ان عليًا هذا قد زاره مرة ثالثة (١٤) . وعند العودة الى كتاب تراجم
 علماء طرابلس وادبائها، لعبد الله حبيب نوفل (ت ١٩٤٧ م) ، لا نجد
 ذكرًا لمصطفى بن جمال الدين بن كرامة هذا، بل لافراد آخرين كعمر بن
 مصطفى أبي اللطف (ت ١١٦٠ هـ / ١٧٤٧ م) ومصطفى بن عبد
 الحميد كرامة (١٥) . واذا ما رجعنا الى التعليقة نفسها فاننا نلمس،
 من ثناياها ومن لغتها ، ان مصطفى هذا كان على مستوى جيّد من
 حيث تَمَكَّنَ من اللغة العربية ، وان له ولدا اسمه عمر ، وَقَعَ معه في
 الاسر ؛ وما عدا ذلك فان المعلومات التي يوردها عن نفسه تكاد
 تكون شبيهة معدومة .

(١٣) انظر نص الرحلة مع الدراسة التي قدّم لها بها ناشر الرحلة
 Stefan Wild "Al-Utaifis Journey to Lebanon in 1043/1634"

مجلة الأبحاث ، بيروت ، مجلد (٢٣) سنة ١٩٧٠ ، ص ٢١٢ — ٢٢٢ .
 لسوء الحظ منذ إعداد هذه الدراسة لم اتمكن من الاطلاع على نسخة رحلة يحيى
 المحاسني (ت ١٠٥٣ هـ / ١٦٤٣ م) ، "المنارل المحاسنية في الرحلة الطرابلسية"،
 المحفوظة في مكتبة جامعة اسطنبول تحت رقم ٤٣٢٩ .

(١٤) انظر النابلسي ، الشيخ عبد الغني (ت ١١٤٣ هـ / ١٧٣١ م) ، "التحفة النابلسية
 في الرحلة الطرابلسية"، حققها وقدّم لها هرييت بوسة ، بيروت ، ١٩٧١ م ،
 ص ٤٩ ، ص ٧٦ ، ص ٨٧ .

(١٥) نوفل ، عبد الله حبيب ، "تراجم علماء طرابلس وادبائها" ، مطبعة الحضارة ،
 طرابلس ، ١٩٢٩ م ، ص ٢٥ ، ص ١٣٧ — ١٣٨ .

ان هذه التمليلة المصنفة ضمن مجموعة Levinus Warner (١٦) ،
 (ت ٢٢ حزيران ١٦٦٥ م) ، قنصل هولندا في اسطنبول ، مسجلة
 في مكتبة جامعة ليدن تحت رقم (١) Cod. Or. 944 (١٧) ، وهي
 تقع في أربع ورقات، ومجموع أسطرها مائة وأربعة وسبعون سطرا
 مكتوبة بخط اعتيادي ، ومدونة بتاريخ ١٠١٦ هـ / ١٦٠٦ م ، وعلى
 الأرجح انها النسخة الأم، حيث لم أعثر على أية اشارة أخرى عنها في
 بقية فهارس المخطوطات المنشورة، وعلى الغالب انها وصلت فارنر
 باسطنبول عن طريق حلب، بواسطة محمد بن عمر العرضي الحلبي
 (ت ١٠٧١ هـ / ١٦٦٠ م) ، الذي كان قد اتصل بفارنر، وكان يشتري
 له المخطوطات العربية ويُرَوِّده بها (١٨) ، أو عن طريق فردريك أخي

(١٦) لفينوس فارنر Levinus Warner ، من طلبة جامعة ليدن. درس
 اللغات الشرقية بهما ، وسافر الى اسطنبول سنة ١٦٤٥ م . وفي سنة ١٦٥٥ م
 عُيِّن قنصلا لهولندا في العاصمة العثمانية ، وبقي في ذلك المنصب الى حين وفاته
 في ٢٢ حزيران سنة ١٦٦٥ م . واثاء اقامته الطويلة تلك تمكّن من شراء عدد
 كبير من المخطوطات العربية والفارسية والتركية والعبرية التي اوصى بها قبل
 وفاته لمكتبة جامعة ليدن. لذلك النواة الاولى لمقتنيات تلك المكتبة من التراث
 الشرقي . حول حياته واثامته باسطنبول انظر مقالة

Drewes, G. W. J., "The Legatum Warnerianum of Leiden University
 Library" in Levinus Warner and His Legacy, E. J. Brill, Leiden, 1970,
 pp 1 - 31.

(١٧) انظر فهرس مكتبة جامعة ليدن Voorheove, P.

Handlist of Arabic Manuscripts in the Library of the University of
 Leiden and Other Collections in the Netherlands, in Bibliotheca Universi-
 tatis, Lugduni Batavorum, Leiden, 1957, p. 361.

(١٨) محمد بن عمر العرضي (ت ١٠٧١ هـ / ١٦٦٠ م) نسبة الى بليدة العرض في
 بيرة الشام من اهل حلب ، من أسرة طيبة معروفة بالعلم ؛ ولي القضاء
 بحلب، وتولّى انتفاء الخفية فيها لمدة سنتين ثم سافر الى اسطنبول حيث لم
 يستتره الاقامة هناك، وبعد عودته من العاصمة العثمانية نجده يتولى انتفاء
 الشاعية بعد وفاة أخيه . ونعثر على رسالة منه لفارنر، ونظرا لاهميتها فاننا
 نورد نصها :

« حضرة بكسر مطارد وواحد الفراءد (نلاحظ أنه يكرر مثل هذين التعبيرين
 حيث يورد له المحب نصا يذكر فيه ... » حضرة شيخ الاسلام ودره تاج الملك

فارنر، الذي كان قد همل لفترة قصيرة كتنصل لهولندا في حلب (١٩) ،
مما يدلّ على أن فارنر كان على اتصال بحلب ، على مستوى النشاط
التجاري ، وكذلك على مستوى تجّار المخطوطات التي تُشَفِّف بشرائها .

تعليقة مصطفى بن جمال الدين بن كرامة حول أحداث سنة

١٠١٥ هـ / ١٠١٦ هـ ١٦٠٦ م / ١٦٠٧ م .

= ونص الختام بكر عطارد العلم وثاني الفرقد « ... خلاصة ، م ٤ ، ص ٩٣ ،
إيلي (السمر) بيك المكرم لا زال مدمي العلم له مسلم ، ففاوض جنباه
الترحاب (كذا النص) . هو أن الواصل اليكم من كتب المرحوم كاتب جلبي
(ت ١٠٦٧ هـ / ١٦٥٧ م) ستة كتب ، نزهة الخاطر للكاشي، وهو كتاب جليل
مشتغل على أشعار هريسية وبأرسية، وثمنه اثنا عشر غروشا، والمجلد الأول من
فكرة ابن حمدون وثمنه ستة عشر غروشا، وشرح شواهد التلخيص (لبدر الدين
الغزّي) وثمنه أربعة غروش ونصف، وشرح مقامات الحريري ، المتوسط للشرطي
وثمنه ثلثائة عثماني، وجزء من العقد لابن عيد ربه وثمنه غرش واحد، وشرح
المبدونية وثمنه غرشان، والمجموع خمسة وثلاثون غرشا وثلثائة عثماني. وأما
تاريخ البناكي (محمد بن سليمان الأشعري) (ت ٨٩١ هـ / ١٤٨٦ م) صاحب
كتاب روضة أولي الأبواب في التاريخ، وتاريخ خنای، وتاريخ خسروی، ورسائل الخوارزمي،
فومعنا الدلائل بهما، يكون معلوما لكم، والفتون أن شاء الله نحصلها والسلام .
من الفخر محمد العرضي، ويضيف في حاشية على تلك الرسالة ما يلي : « ولا
نؤاخذونا باخلاف الوعد بالمجيء اليكم يوم الأحد الماضي، فانه صار لنا مانع بسل
موانع. وتبلغ شوقنا الى المرسوط في الدار بقتضى تسميتكم نقولا والسلام .
وقد اشترينا نحن لأنفسنا تأليفا لجذنا ابن الحنبلي (رضي الدين) بمائتي عثماني
مقتضوا بها لنا والسلام وان شاء الله عن قريب فاتيكم » . من هذا النص
نلاحظ بوضوح مدى العلاقة الحميمة التي كانت تربط الاثنين . انظر الخفاجي ،
شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر (ت ١٠٦٩ هـ / ١٦٥٨ م) ريحانة الألباء
وزهرة الحياة الدنيا ، ٢ م ، تحقيق عبد الفتاح محمد الطلو ، القاهرة ،
سنة ١٩٦٧ م ، ١ م ، ص ٢٧٤ - ٢٧٨ . المحبي ، خلاصة ، م ٤ ، ص ٨٩ -
١٠٣ ، البغدادي ، اسماعيل بن محمد أمين البلباني (ت ١٣٢٩ هـ / ١٩٢٠ م) ،
هدية العارفين : أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، م ٢ ، منشورات مكتبة المتنبي ،
بغداد ١٩٥٥ ، ص ٢١٤ ؛ انظر أيضا : اللوحة رقم ١٢ ، المنشورة صورة لها
كملحق لكتاب Levinus Warner and His Legacy،

(١٩)

Drewes, G. W. J., "The Legatum Warnerianum", in Levinus Warner
and His Legacy P. 16.

تعلية تتضمن ذكر أسرنا عند الكفار والسبب الداعي للفرار وما أحل الله بالباغي من الويل والدمار ، والحمد لله الملك القهار والصلاة والسلام على النبي المختار وعلى آله وصحبه السادة الاخيار آتاء الليل وأطراف النهار صلاة تحو عن قائلها الاوزار .

« بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وحسبي الله » ونعم الوكيل « (٢٠) . الحمد لله الذي وعد الصابرين المراتب العلية والهمهم الشكر فنالوا به اعظم مزية ، واشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تدفع عَنَّا كُلَّ بَلِيَّةٍ ، وتورثنا سعادة ابدية سرمدية ، واشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله القائم بأعباء الرسالة وأمر الرعية ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه المنعوتين بمكارم الاخلاق والصفات البهية صلاة دائمة متوالية يتضاعف ثوابها كل بكرة وعشية . أما بعد فيقول العبد الفقير مصطفى بن جمال الدين المدعو بابن كرامة أجاره الله من الزلل والندامة:

لما كان بتاريخ أوائل شهر صفر سنة خمس عشرة بعد الالف وقد حصل على الديار الطرابلسية ما هو ليس بقابل للوصف ، ورد أمر من ظل الله في أرضه القائم بسنته وفرضه المؤتمن على حقه واليد المبسطة على خلقه، من احتباه الله لورثة الرسالة وجعل طاعته فريقتا بين الهدى والضلالة لا دنيا الا به ومعه ولا دين الا لمن والا (٥) وتبعه ، كافل الأئمة وراعيها وسائس الملة وحاميها ، نظام الجملة وجلاء الفمة ورباط النعمة ، من عصى السلطان فقد أطاع الشيطان ، من شايعه حمد في يومه وغده ورعى من العيش في أرغده ومن نابذه صار في خسران وعانقه الخذلان ، جعل الله رايته العليا وآيته الكبرا ، ما تسابح القمران (٢١) ، وتوالى الملوان (٢٢) ، واستقر في مكانه جبل لبنان .

(٢٠) من سورة آل عمران آية رقم (١٧٣) .

(٢١) القمران : الشمس والقمر ؛ انظر جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١ هـ

١٣١١ م) ، لسان العرب ، ١٥ م ، بيروت ، ١٩٥٥ م ، ٥ م ، ص ١١٣ .

(٢٢) الملوان ، الليل والنهار، وقيل طرفا النهار ، ابن منظور ، لسان العرب ،

١٥ م ، ص ٢٩٠ - ٢٩٢ .

بعد ان انهي لسنّته، لا زالت الايام طوع ارادته، أنّ علي بن جان (٢٣) بولاد بفي واستغنى فطغى وركب اضاليل الهوى واباطيل المنسى واحاديث النفوس الكواذب ووساوس الآمال الخواث ، جال في تيهيه وشقائه وسفاهة عقله وقلة رايه، ودخل في ظلمة المعصية وخرج من نور الطاعة وركب المركب الذي لا بد ان يترجل راكمه بل ينخذل فارسه ، مدّ يداً قصيرة ليتناول غاية بعيدة ، أضلّه عماه وزلّت به قدماء ، امتطى ظهر الاغترار واداع دواعي البوار ، أوقست ناراً للحرب بدر منها بوادر الفتنة وهزرت على يده شقاشق (٢٤) المحنة ، فلما

(٢٣) علي بك ابن الامير احمد ابن جانبلاط الكردي ، ابن اخي حسين باشا جانبلاط ، اتابه منه في حلب عند خروجه للامانة الوزير السردار سنان باشا جفال زادة ، وعندما وصله نبا قتل عمه بامر الوزير المذكور رفع راية المعصيان في حلب ، وكان جيشه المكوّن من عناصر السكبان الهاريين من الخبة العسكرية يزيد على عشرة آلاف شخص . ومُنِع الوالي المعيّن على حلب من الدخول اليها ، وسار من حلب باتجاه الجنوب حيث هزم المساكس العشمانية بقيادة يوسف باشا سينا (ت ١٠٢٤ هـ / ١٦٢٥ م) قرب حماة ، سنة ١٠١٥ هـ / ١٦٠٦ م وغنم اشياء كثيرة من معسكر المساكس الشامية ؛ وبعد هذا الانتصار استدمى نحر الدين الذي اجاب دموتس وانضم اليه في حركة المعصيان ، فأسرلاً واحتلاً مناطق يوسف باشا سينا باستثناء قلعة طرابلس ، وخرباً بطبك وتوجها باتجاه دمشق حيث هزما مساكسها للمرة الثانية في نواحي المراد ، ومن هناك اتجهت مساكسهم لتهاجم دمشق من جهة المزة ، وبدأ افراد السكبانية والدروز بنهب الاحياء الخارجية لحديثة دمشق ، ولم يرفع الحصار الا بعد ان دفعت له اهالي دمشق مائة وخمسة وعشرين ألف غرش . وفي طريق هودته مكّر على حصن الكراد وجزت اتصالات له مع يوسف باشا سينا ، أدت الى عقد مصاهرة ما بين ابن جانبلاط ويوسف باشا سينا ، ومن هناك عاد الى حلب فأرسل السلطان له الوزير الكبير مراد باشا « لآته (أي علي بك) كان قد قارب ان يملك البلاد بالاستقلال » وفي القتال الذي نشب قرب مرعش نجا علي بك جانبلاط براسه الى مدينة حلب ومنها الى ملاطية ، ومن هناك قصد اسطنبول حيث عفا عنه السلطان وولاه حكومة طمشوار ليقتل فيها بعد حوالي ١٠٢٠ هـ / ١٦١١ . انظر ترجمته في البويرني ، المصدر ذاته ، م ٢ ، ص ٢٧١ - ٢٩١ ، المجبي ، المصدر ذاته ، م ٢ ، ص ١٣٥ - ١٤٠ .

(٢٤) شقاشق : جبع الشقيقة وهي « لهامة البعير ، ولا تكون الا للعربي من الابل » وقيل هو شيء كالرئة يخرجها البعير من فيه اذا هاج . ابن منظور ، لسان العرب ، م ١٠ ، ص ١٨٥ .

تقررت احواله لديه، لا زالت حمائم النصر ترعرع بين يديه ، عين عليه سردارا كافل المملكة الطرابلسية (٢٥) ، لا برحت مدا الايام من الاغيار محمية ، أمير الامرا الكرام كبير الكبرا الفخام : حضرة يوسف باشا بن سيف (٢٦) ، أسعفه الله في اموره اسعافا وادام الله ايامه

(٢٥) المملكة الطرابلسية : كانت تشكل احدى ممالك ونيابات بلاد الشام في العهد المملوكي .
حول هذه المملكة انظر ابا عبد الله بن محمد المعروف بشيخ الربوة دمشقي الاتماري (ت ٧٢٧ هـ / ١٢٢٧ م) ، نخبه الدهر في عجائب البر والبحر ، تحقيق ا . مهران ، بريل ، لندن ، ١٩٢٢ ، ص ٢٠٧ - ٢٠٩ ؛ كذلك احمد بن علي القلقشندي ، (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) ، صبح الاعشى في صناعة الانشا ، القاهرة ، م ٤ ، ص ١٤٢ - ١٤٩ . حول هذه المملكة في اواخر العهد المملوكي راجع غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري ، (ت ٨٧٢ هـ / ١٤٦٨ م) ، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، نشره بولس راويس ، باريس ، ١٨٩٤ م ، ص ١٢٢ . اما فيما يتعلق بالحياة الثقافية في طرابلس في العصور الوسطى ، فتراجع المادة المجموعة عند عمر عبد السلام التدمري ، الحياة الثقافية في طرابلس الشام خلال العصور الوسطى ، بيروت ، ١٩٧٢ ، هذا بجانب المادة المتوافرة في كتاب اخبار الاعيان في جبل لبنان ، ٢ م لطنوس الشدياق (ت ١٨٥٩ م) الذي حققه مؤاد انرام البستاني ، بيروت ، ١٩٧٠ م ، م ١ ، ص ١١ . كذلك انظر

FR. Buhl, "Tarabulus" E. I. vol. iv, P. 660

وترجمة المقالة نفسها في دائرة المعارف الاسلامية ، م ١٥ ، ص ١١٧ - ١٢٠ ؛ اما مصطلح « كافل » فهو مرادف لمصطلح « نائب » وهو من القاب كبار النواب كحائب دمشق ، راجع القلقشندي ، المصدر ذاته ، م ٤ ، ص ٤٥٢ .

(٢٦) يوسف باشا سيف (ت ١٠٣٤ هـ / ١٦٢٥ م) ، زعيم سني من اصل تركماني او كردي ، كانت أسرته من القوى المحلية البارزة في منطقة عكار ، واوكلت اليه ولاية طرابلس الشام اكثر من مرة ؛ عرف عنه زعامته للجناح اليمني ضد الجناح القيسي بقيادة فخر الدين المعني ، ربطته علاقات المصاهرة مع المعنيين والجنبلاتيين . حول حياته انظر : البورييني ، تراجم الاعيان من ابناء الزمان ، انظر النص المنشور ادناه . المحبي ، خلاصة الاثر ، م ٤ ، ص ٤٧ - ٤٩ ، ص ٥٠٣ . الدويهي ، البطريق اسطفان (ت ١٧٠٤ م) ، تاريخ الزمنة ، نشره الاب فرديناند توتل اليسومي ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٥١ ، ص ٣٢٠ ، كذلك انظر مقالة

Salibi, K., "The Sayfas and the Eyalet of Tripoli, 1579-1640," Arabica, vol. XX (1973), PP. 25-52.

الزاهرة وأعلى مقامه في الدنيا والآخرة . بولايته الرعية تنام وهم آمنون ويصحون (١١) بوجوده مسرورون ، نفوسهم في ظلال السكون وادعة ، وفي رياض الأمن راتمة . فتوجّه امتثالا لأمره المطاع الواجب الاتباع نفذ الله في سائر الاقطار والبقاع ليخرجه من محروسة حلب ، وجمع العساكر وحشّ بالطلب ، هدى الى اجهاد النفس في المصالح ووقفها على سبيل المراسد والمناجح (٢٧) : بين ثغر يُسدّ وعُضد يُشدّ وشتات يُجمع وخرق يُرقع وذمام يؤكّد وعهد يؤيد . فلما بارز في عاشر شهر ربيع خارج حماة كاتب (١) بن جان بولاد لبعض امراء العرب (على الهامش الاعراب) على مبلغ فأركبه هواه ، هيهات ما اضلّ فعمل ذلك الشقي من رأي واسواه ، تيقن الاماني الكاذبة وظن الظنون الخائبة ؛ فلما تلاقى العسكران وتصادم الجيشان واصطف الخيل والرجل وامتلا الحزن (٢٨) والسهل وبرقت الابصار بشمع السيوف وسفرت رسل الحتوف بين الصفوف ودار كأس الموت دهاقا وعاد لقا الفريق بالفريق عناقا ، وصار الفارس اقرب من ظلّه والسيف أدنى للوريد من حبله ، ففي ذلك المحل فرّ الشقي الموعود بالاموال وزين له الشيطان فعله وحثّه بالاستعجال وصوّر له الاماني الفاسدة والامال ، فلما شاهد فراره العساكر صار رأي كل لصاحبه مغاير وعاد (ت) السواعد غير مساعد (ة) والاعضاء غير معاضد (ة) . ولم يزل صاحب الدولة والسعادة ، بلغه الله الحسنى وزيادة ، ثابت الجنان لا تهوله (جاءت يهوله) صدمات الفرسان ، وصار كلما حُرّض من المعسكر جحفلا ، يُظهر ضعفا وتجلجلا ، فعند ذلك تطايرت من حوله العساكر قاصدين حماة ولم يمكث معه الا الذي رياه في حماه ، فسار عند ذلك صاحب الدولة وقد ادخر سعيه ليوم لا ينفع الانسان قوّته ولا حوله والسما تحسد الارض بوطينه لها في سيره والنجوم تودّ لاجل الثواب لو خرّت مع سنابك خيله ، ودخل محروسة طرابلس في

(٢٧) المناجح جاء في اللسان : « وانجح الرجل ، صار ذا نجح فهو منجح من قوم

مناجح ومناجيح » ، لسان العرب ، م ٢ ، ص ٦١١ .

(٢٨) الحزن : « ما غلبت من الارض في ارتفاع » ، لسان العرب ، م ١٣ ، ص ١١٤ .

خامس عشر شهر ربيع الاول، وانتشر الناس بقدومه لأنه عليه المعول .
 وأما ابن جان بولاد طواع شيطانه اذ اضلّه زلّ معه حين استزلّه
 أبى إلا امتداد عنانه في الانتقاد لشيطانه ، واستنفاذ قواه في الاستسلام
 لهواه ، فدعا ابن معن (٢٩) فاستجاب لدعائه وإسرع لندائه وسؤل
 لهم الشيطا (ن) تسويلا واستفواهم تفرّرا وتضليلا وحَبب اليهم
 العناد حتى شيط بلحهم ودمهم وكره اليهم الرشاد حتى القوه وراء
 ظهرهم وصانح بينهم (ا ب) فغادرهم رهينا وقارنهم وسا (ء)
 قريناهم يزل يلحم في اسفاح الشحنا (ء) وهم له يجيبون حتى وصلوا
 ظاهر طرابلس ونزلوا بأرض الجون (٣٠) ، جعلوا يغيرون وينشرون

(٢٩) نخر الدين المعني (ت ١٠٤٣ هـ / ١٦٣٥ م) ، درزي المذهب ، كان زعيم الجناح
 القيسي في بلاد الشام ؛ بنى جيشا قويا من العناصر الهاربة من الخدمة التي
 كانت تعرف بالسكبانة ، استفاد من علاقاته بأوروبا عن طريق الموارنة وشجع
 التجارة مع أوروبا فازدهرت موانئ لبنان خاصة صيدا ، نشطت الزراعة في
 مهده خاصة زراعة شجرة التوت لتربية دودة القز ، حارب بني سنيّا ، وبني
 القلاع وشحنها بالجنود ؛ تم القضاء عليه في عهد السلطان مراد الرابع . بن
 أجل المزيد عن حياته انظر أحمد بن محمد الخالدي الصلبي (ت ١٠٣٤ هـ /
 ١٦٢٤ م) ، تاريخ الأمير نضر الدين المعني ، تحقيق أسد رستم وفؤاد البستاني ،
 بيروت ، ١٩٦٩ ؛ المحبي ، خلاصة ، م ٣ ، ص ٢٦٦ — ٢٧١ ؛ عيسى اسكندر
 المعلوف ، تاريخ الأمير نضر الدين المعني الثاني ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ،
 ١٩٦٦ ؛ الأب بولس قرألي ، نضر الدين المعني الثاني أمير لبنان : ادارته
 وسياسته ، ١٥٩٠ — ١٦٣٥ ، حريصا ١٩٣٧ ؛ لنفس المؤلف ، لبنان والدولة
 العثمانية في عهد نضر الدين المعني الثاني ، مطبعة مصر الجديدة ، ١٩٥٢ ؛
 انظر أيضا محاضرة كمال الصليبي : « نضر الدين المعني الثاني والفكرة اللبنانية » ،
 ابعاد القومية اللبنانية ، ص ٨٥ — ١١١ ، لنفس المؤلف .

"Fakhr al-Dīn" E. I. , vol. II, PP. 749-51.

(٣٠) الجون : يفيد معنى الزاوية ويذكر عادة مضافا الى عكار ، جون عكار ، وفي
 سنة ١٥٨٤ م ، هُبت الخزنة المصرية التي كانت في طريقها الى اسطنبول في
 ذلك الموقع ، مما دعا الدولة العثمانية الى تجريد حملة على تلك المنطقة كان
 من نتائجها ضرب الزعامات في جبل لبنان خاصة الزعامة المعنوية . حول هذه
 الحادثة انظر ، الدويهي ، اسطفان ، تاريخ الازمنة ، ص ٢٨٤ — ٢٨٥ ، الشدياق ،
 طنوس ، أخبار الاعيان في جبل لبنان ، م ١ ، ص ٦٧ ، ص ٢٣٣ ، ٢٣٨ ؛ حول
 معنى كلمة جون ، انظر فريخة ، انيس ، اسماء المسد والقرى اللبنانية وتفسير
 معانيها ، جونية ، ١٩٥٦ م ، ص ٩٧ .

من الفتن ما ينشرون، لا عن الدماء (ء) كَفَّوْا ولا عن المحارم عَفَّوْا ، ما الذنب بالقياس اليهم الا من الضالحين ولا الحَجَّاج في العراق معهم الا اول العادلين ولا نمرعون في بني اسرائيل اذا قابلته بهم الا من المقربين ، ما تركوا للرعايا فضة الا فُضَّوْها ولا ذهبوا الا ذهبوا به ولا ضيعة الا اضاعوها ولا فرسا الا افترسوه ، توالى مظالمهم وظلمهم واتصلت غائهم وغُثُّهم ؛ عَيَّنُوا درويش بن جان بولاد (٢١) مع شرذمة هي فراش النار واوباش الامصار فتتابعن اليه كلاب الغارة الشعوا (ء) وتعاونت لديه ذئاب الفتنة الصَّما (ء) . دخل طرابلس في اواخر شهر ربيع ، فالاعيان من اهلها دخلوا السفن والبعض آوى (جاءت آوا) الى حصن منيع دخلها بمن لُقِّ لُفَّيته وصافح على الضلال لكفته من اشياح الغواية واتباع الغباوة اولئك الكلاب العاوية والعصبية الضالة الباغية، لا يقيمون له وزنا ولا يمثلون له اذنا وانها صار لهم سُلْما الى الاموال المستهلكة والموارد المُرْدِيَّة المهلكة . وفي صبيحة نهار السبت رابع عشرى ربيع سافر بعض المراكب فبكت لمصابهم الارض والكواكب قاصدين الجزيرة (٢٢) والناس تبكي بأدمع غزيرة. فلما اسفر نهار الاحد وكان يوم يشيب فيه لهوله الغراب والولد ، غلايين (٢٣) ،

(٢١) درويش بن جان بولاد : يُعرّفه البوريني بقوله، درويش بيك ابن عم علي بيك وانه اخذ مدينة طرابلس الشام لكنه لم يتمكن من احتلال القلعة التي تحصن فيها ملوك يوسف باشا سيفا ، الذي كان يعرف أيضا باسم يوسف ، انظر النص المنشور أدناه .

(٢٢) المقصود بالجزيرة هنا جزيرة قبرس ؛ انظر نص البوريني المنشور أدناه والملاحظات المدونة عنها في الهامش .

(٢٣) غلايين : جمع كلمة غليون التي هي تحريف لكلمة galleon, galion الانجليزية و galeone الإيطالية ، وهي سفينة أكبر من galley كان يستخدمها الاسبان في التجارة خاصة مع ممتلكاتهم في العالم الجديد . والجدير بالذكر ان الشيخ مبد الغني النابلسي في رحلته الى طرابلس يذكر ما يلي « وقد رأينا على حانة المينا أنواع المراكب والسفن، وقد ذكر لنا اسماؤهم صديقنا الحاج نور الدين الطرابلسي المذكور ... ناعلم ان أنواع المراكب واسماؤها كثيرة بلغت مئتين نوعا بعضها يخالف بعضا في الصورة والهيئة واسماؤها متعددة كل اسم يطلق على مركب مخصوص لا يتناول المركب الاخر لكنه يطلق على الجميع المركبة

النصارى علينا أقبلت ، فالمعقول طارت والاموع فارت والاصوات قد
 علت لهذه النازلة الهائلة والفظيعة والحادثة الكارثة ، يالها من مصيبة
 لا يداوي كَلَمَها آسٍ ، ولا يسدّ ثلمها تناسٍ ، ففي لحظة أدركونا ،
 وضربونا بالمكاحل الطيّارة فاهالونا وبشّرر نارهم الهبونا واحاطوا بنا
 فآخذونا . كان في السفينة من المسلمين مائتا (جاءت مائتا) نفر
 وسبعة أنفار رجال ونساء واطفال ، عبيد وحرار صاروا بأجمعهم
 في قبضة الحربيين الكفار الاشقياء الفجار بين مقتول ونقل الله روحه
 الى دار السلام ، واسير موثق بين أيدي الكفرة اللثام وجريح تمثّل
 له الاجل فقال لسان حاله هذا اقصى المرام ؛ ما الحيلة وقد حصل
 القضاء (ء) ونزل البلا (ء) وكُتِبَ الرضى والتسليم ونحن به آمنون
 لا حول ولا قوّة الا بالله « انا لله وانا اليه راجعون » (٢٤) ، لا نسخط
 لقدر الله وهو عدل ولا نتنكر (١٢) لقضاء الله وهو فصل ومن عنده
 الفضل ، يولي ويبلي ويسلب ويعطي له الخلق وفعله الحق ، امر
 الله سبحانه وتعالى لا يقابل الا بالرضى والصبر على ما قضى
 وأمضى ، علما بأن مقاديره لا تجرى الا على موجبات الحكمة وتدبيره
 لا يخلو من باطن المصلحة وظاهر النعمة .

= والسفينة . ويعدد عشرين نوما : منها الغليون . انظر : التحفة النابلسية في
 الرحلة الطرابلسية ، ص ٧٠ - ٧١ ، كذلك

Dozy, R., Supplement aux Dictionnaires Arabes, vol. II, P. 226.

انظر كذلك The Oxford English Dictionary, vol. iv, P. 21.

ونجد أن ابن اياس ، (ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٣ م) يستخدم هذا المصطلح فيقول في
 اخبار سنة ٩١٨ هـ / ١٥١٢ م ما يلي : « ثم احضر السلطان قايتباي بالقرب
 من (الجيزة) المركب الكبير الغليون الذي عمره واصرف عليه نحو من عشرين
 الف دينار فارسوا به قبالة المقياس ، وصنموا له ثمانية مراسي وعلقوا في
 صواريه القناديل في الامشاط . . بدائع الزهور في وقائع الدهور ، م ٤ ،
 تحقيق محمد مصطفى ، القاهرة ١٩٦٠ م ، ص ٢٧٦ ؛ انظر ايضا حبيب الزيات ؛
 « معجم المراكب والسفن في الاسلام » المشرق ، مجلد ٤٣ (١٩٤٩ م) ، ص ٣٥٥ ،
 والجدير بالذكر أن الاستاذ أنيس مريخة لم يذكره في معجمه ، معجم الالفاظ
 العامية في اللهجة اللبنانية ، بيروت ١٩٤٧ ، كما أن الدكتور البير مطلق لم
 يذكره في معجم الالفاظ حزمة صيد السمك في الساحل اللبناني ، بيروت ، ١٩٧٣ .

(٢٤) من سورة البقرة ، آية رقم ١٥٦ .

استمرينا بذلك الأسر نخابد المشقات والقهر بقلب هلوع ، وروع
مروع نيكى على أيامنا الماضيات ونحسد من تقدمنا من الاموات . ثم
لما تجلّت عنا غمة الخطوب ودارت لنا بشاير الرضا من المحبوب وانشقت
سحابة محنته وتجلّت غمرة كربته وطلعت نجوم ارادته وهطلت
سحابة سعادته واذن الله سبحانه وتعالى باخراجنا من الضيق الى
السعة ومن الانزعاج الى الدعة ، التى (جاءت القا) الله سبحانه
وتعالى الرافة في قلب ذلك العلاج النصراني فأمرني بالخروج الى
محروسة صيدا في ثامن عشرى شهر ربيع الثاني وطلب فدوى (غنى) وعن
ثلاثة وعشرين نسمة ضمتهم الي من الاهالي : نساء واطفال اربعة
آلاف وثمانمائة ذهباً عال ، فعاهدته على ذلك وأسرعت بالذهاب
من غير تكاسل ولا اهمال مستجيراً برسول الله صلى الله عليه وسلم
وعلى آله واصحابه خير صحب وآل مستشفعا مستغيثا متوسلا به في البكور
والآصال ، فأعطف الله الكبير المتعال على هذا الضعيف قلوب سراء
ذي اموال ، اعطونا تلك (جاءت ذلك) العشرة بخمسة عشر الى
مضى شهرين ، فقبلت منهم على ذا الحكم جميع ذلك الغبن ثم قالوا
نحن سخيना بماننا عليك فلا تدعنا نطالبك ، نحيل بكتابك على من يكتابك ،
فشكرت فعلهم ومدحت فضلهم وقتلت هذه المداينة لا اعدھا الا كأنھا
عطية وهي عندي بمنزلة الهدية وانشا (ء) الله قبل تمام المدة
نوصلكم جميع هذه العدة ، ثم اني قبضت تلك (جاءت ذلك) النقود
بالتمام والكمال واتبضتها للحريين فأخرجوا في الحين جميع العيال .
فلما شاهدتُ الولد الأعزّ عمر لطف الله به وبفضله له غمر تهللت مني
وجوه الانس وكانت قبل عابسة وأورقت (جاءت وأورق) غصون من
الفرج بعد أن كانت يابسة . ثم في أوائل شهر جمادى الاول دخلنا
محروسة بيروت اقمنا برهة من الزمان . وفي غُرة شهر شعبان من
السنة المزبور (ة) جئنا (٢ ب) الى الاوطان فلاح لنا النجاح وانتشر
نوره وأومض برق الفلاح ولمعت تباشيره فوجدنا صاحب الدولة
والسمادة حضرة يوسف باشا بلغه الله من خيري الدنيا والاخرى ما
يشا (ء) دخل الديار الطرابلسية وحكمها ، ومن ايدي الخوارج والبغاة

قد أنقذها ، وقطع عروق البغاة أهل العناد واطلع فيها كواكب السداد . فكانها بدلت من الظلمة نورا ، وأعقبت من موتها نشورا .

ونرجع الى ذكر الباحث عن مديته المتعجل الى انقطاع مدته . بسط يده في المظالم يحتقبها والمحارم يرتكبها وضرب على أهالي حلب ضرايب ضربت الاموال بالتمحيق والبضائع بالتمزيق . تلك البلاد تلهبت بجمرات ظلمه ، وتنهبت ببدرات (٣٥) غشمة فالمحارم مهتوكة والدماء (٤) مسفوكة ولسان الحال يقول ، قد يكون للباطل دولة وللفساد صولة ، ثم يأتي من الانتقام والاصطلام ، ما يسقط الهام على الاقدام ، أما علم ان العزيمة من أمير المؤمنين تنزل أمثاله مثلا وتجعله لاهل الشقاق والنفاق مثلا ! أما علم انه اذا رماه بشعبة من أفكاره ومثله بجذوة من ناره عاد حرصه ندما وصار وجوده عدما ! وغودر أشياعه بددا بل طرائق قdda ! نصب عليه سردارا الصدر الاعظم والدستور المعظم نظام العالم مدبر جمهور بني آدم مراد باشا (٣٦) آدام الله اجلاله وبلغه من خيرى الدنيا والاخرى آماله ، فسار اليه بأسعد الطوالع والفواتح وأيمن المحامد والمناجح فخلبت لركوبه الارض مائجة والبحار هائجة والمناجح تطرق بين يديه والميامن تسير حواليه وآيات الظفر تقرا

(٣٥) البذرة : هي « جلد السخلة اذا نظم ويقال ثلاث بدرات » واستخدم بمعنى كيس فيه الف او عشرة آلاف ، لسان العرب ، م ٤ ، ص ٤٩ .

(٣٦) مراد باشا « صاحب العروب مع المجر والعجم والجلالية » ، عُيِّن حاكما لليمن سنة ٩٨٤ هـ / ١٥٧٦ م ، وأعطى بعد ذلك حكومة قرمان ، شارك في الحرب ضد بلاد فارس ، ولسي دمشق حيث شيد فيها سنة ١٠٠٢ هـ / ١٩٥٣ م سوقا عرف باسمه ، عقد صلح ستفانوك سنة ١٦٠٦ م ، مع النمسا ، عُيِّن بعد ذلك سردارا على الشرق لاضعاع الحركة الجلالية وحركة علي بيك ابن جاتبلاط ، كانت وفاته سنة ١٠٢٠ هـ / ١٦١١ م انظر الغزي ، لطف السمر وقطف الثمر ، ورقة ، ٤٤ ب - ٤٥ ا . المحبى ، خلاصة الاثر ، م ٤٤ ، ص ٣٥٥ - ٣٥٨ ، ابن جمعة المقار ، ولاة دمشق ، ص ٢٣ ، عبد القادر بدران (ت ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٧ م) ، منادبة الاطلال وبسامرة الخيال ، منشورات المكتب الاسلامي للطباعة والنشر ، دمشق ، ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م ، ص ٣٧٩ - ٣٨١ . صلاح الدين المنجد « خطب دمشق » مجلة الشرق ، م ٤٢ ، (١٩٤٨) ، ص ٦٢ - ٦٤ .

عليه والنصر يترأى من ذائب أعلامه وينوده وعناية الله محيطة على مواكبه وجنوده. ولم يزل سائرا والسعود تواكبه ولطائف (جاءت الطائف) الله تصاحبه حتى قرب من مدينة حلب، فخرج علي بن جان بولاد قاصدا له بالطلب يحضره الى مصرعه الاغاليل ويعجله الى هلكه الاباطيل ، حدثهم (٤) لاستعجال (جاءت الاستعجال) الأجل ، وتصورت لهم المنايا في سور الاماني والآمال، ساروا وآجالهم تفسح في مطامعهم ومناياهم تحث خطاهم الى مضارعهم . نقلهم الله بأقدامهم الى مصارع حمامهم (١٣) فلما التقوا وكان ذلك في شهر جمادى الآخرة دارت على أعدا (ء) الله به الدائرة من شهور سنة ست عشرة بعد الالف . وما أحلّ الله بهم من الانتقام ما شئت عن طوق الوصف وعلت ريح الاقبال « لحزب الله » (٢٧) ، وذرت ريح الادبار على أعدا « حزب الله » متعهدون بالمنايح الزهر وأعدا (ء) الله بوزر المعاندين ازداد « حزب الله » شدة مراس وقوة بأس مترصدون بالمنايا الحمر ، فاز « حزب الله » بأجر المجاهدين وأعدا (ء) الله بوزر المعاندين ازداد « حزب الله » شدة مراس وقوة بأس وثبات مقام ، وصدق انتقام ، وأعدا (ء) الله انقلبت مواكبه وتضعفت مراكبها وانخفض بيارقها لما شاهدوا الرايات المنصورة تزحف اليهم زحفا ، ملأت قلوبهم رجفا وهي تخفق بالنجح ، والطبول تنطق بالفتح ، أمر بتسوية الصفوف التي لا فلول يعتربها ولا رجوف ، وجعل الجيوش ميامن يقاربها اليمين والنجاح ، ومياسر اقتضت اليسر والفلاح ، وصار هو وقواده قلبا قالبا لمن قابله وناكسا لمن واجهه. فحين ترأى الجمعان وأفضى الأمر الى قرب العيان والتهبت جمره الضراب والطعان التقى الجمع بالجمع وقرع النبع بالنبع (٢٨) وبلغت القلوب الحناجر وشافهت المناخر المناخر فعند ذلك صممت اللسنة وخُطبت السيوف

(٢٧) « حزب الله » من سورة المائدة آية رقم (٥٦) ، وكذلك ذكرت في سورة المجادلة آية رقم (٥٨) .

(٢٨) النبع : من أشجار الجبال تصنع منها القسي ، لسان العرب : م ٨ ، ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .

على المنابر واستخرت (٢٩) سر الرياح وتصافحت بيض الصفاح بلغ « حزب الله » من اقتناص الاعداء (٤) اقصى المبالغ ووطنوهم وطء القانع الدافع زحموا الاعداء (٤) من جوانبهم وتمكنوا من نقض مواكبهم فضاق بهم المجال وتحكمت بهم الاجال فلم تَرَ (جاءت ترا) الا رؤوسا تندر ودماء تهدر واعضا (٤) تتطاير واجساما تترايل، اوسعهم ضربا وشقًا وطعنا ورشقا وجرحا وزرقا؛ ووطنوهم بسنابك الخيل وتركوهم كجفا (٤) السيل صبوا عليهم سوط (جاءت صوط) (عذاب) فاسلموهم لعوادي بنار وتباب بين قتيل عجل الله بروحه الى دار جزائه واسير قد اوثقه ما ارتكب من سوء رايه ، وابن جان بولاد نكص على عقبه وقد كادت صروف الايام تفتريه وبانيابها تنتهشه، لم ينج الا بشرمة لاذت بذمة الهرب ولن يفوتوا يد الطلب، اطار الرعب قلوبهم وسكن الخوف لبهم ، خرجوا من تحت طلي السيوف وقد شارفتهم ، وشبا (٤٠) الحتوف وقد شافتهم ، ولم يزل دائرا في البلاد ليجد من يعينه على البغي والعناد فلم يجد (٣ ب) له مساعد ولا خل معاضد، فأحب عند ذلك قرب الموت لما رأى من ضيق العيش وبعد الاوطان وقهر الجيش، ودخل على بعض البغاة فأراد (جاءت فارد) بعضهم أن يوثقه ويجعله اسيرا وبعضهم ظاهره وكان في خلاصه نصيرا، فانهمز وقصد الاعتبار العلية والسدّة العالية السنية في سابع عشرى شهر رمضان سنة ست عشرة بعد الالف من هجرة سيد ولد عدنان يلتبس العفو ، ورُمّته على تَلَف وشفاهته على شرف، فأخّر لأجل مضروب وانسيء لأمل مكتوب .

وأما « حزب الله » عادوا منصورين مؤيدين موفورين لم يَمَسَّهم جراح ولا عَضَّهم سلاح، غنموا اموالهم التي لم يؤدوا منها حقا معلوما ولم يغنوا منها سائلا ولا محروما ، ودخل الصدر الاعظم مدينة حلب والزمان ضاحك متظاهر البشر من الفتح الذي نطقت به

(٢٩) من مخر : استخر قابل ، لسان العرب ، م ٥ ، ص ١٦٠ - ١٦١ .

(٤٠) شبا : الشباة طرف السيف وحُدّه، وجمعها شبا ، لسان العرب ، م ١٤ ،

السنة الشكر وفتحت له ابواب البشر ، والممالك ملأى (جاءت مليء)
تهاني وبشارات والأوليا شورى بين أفراس ومسررات ، وسلمت قلعة
حلب الشهاب بعد دخوله بثلاثة أيام من غير حصار ولا اهتمام لعظيم
سطوته (جاءت خطوته) ، منحة من الكبير المتعال ، عرّتهم هزة
وتحكمت بهم الأوجال ، طلبوا الذين (جاءت الذي) كانوا في القلعة
الامان فأعطاهم ، فنزلوا على أسوا الاحوال ، هناء الله بالطوالع
السعيدة عند نهضته ودلت عليه البشائر الحميدة في سفرته وقد دانت
له الطوائف وآمن به الخائف . كان حلولة بهركز غرة الديمة الوطفا
من السنة الشهاب والنور المنتشر بعد الظلام المعتكر ، انحسرت الغمة
بتلاؤ جبينه ودرت النعمة بأخلاق يمينه فأصبح العدل ممدود الرواق
والسلطان نصره الله ساطع الاشراف ، محروسا بعين عناية الملك
الخالق الواضع قدمه على ناصية الشمس ، الساحق بضياؤه أنوار البدر ،
الضارب برواقه من فوق النجم، المبسوط بين المغربين شعاعه الممدود
على الخافتين شرابه ؛ فالله يديم له الفتح يميناً ويساراً ويزيد أعداءه
ذلاً وخساراً ويجعل أعداءه حصائد سيوفه ورهائن خطوب الدهر
وصروفه .

ترجمة يوسف بائسا سيفاً للشيخ حسن بن محمد البويرني (٤١)

« الأمير يوسف بن سيف وأخوه الأمير علي ، قد اتفق (١٤٩ ب)
مسيرنا الى طرابلس الشام فنهضت اليها من دمشق في شوال سنة
ثمان والـف من الهجرة النبوية على مهاجرها ألف ألف تحية . ومررنا

(٤١) الشيخ حسن بن محمد البويرني (٩٦٢ هـ / ١٥٥٦ م — ١٠٢٤ هـ / ١٦١٥ م) ،
مؤرخ من أصل نابلسي عاصر أحداث سنة ١٠١٦ هـ / ١٦٠٥ م ، حول حياته
وثقافته ومنزلته العلمية ومؤلفاته ، انظر الترجمة الوافية ومصادرها التي افرد لها
صلاح الدين المنجد في تقديمه للجلد الاول من تراجم الاميان من ابناء
الزمان ، دمشق ١٩٥٩ م ، ص ٥ — ٢٦ . النص الذي ننشره مأخوذ من مخطوط
تراجم الاميان من ابناء الزمان ، نسخة ميمّنا ، رقم

Cod. Arab, 1190, Mixt. 346

وهذا النص يقع في خمس صفحات ونصف في كل صفحة تسعة وثلاثون سطرا .

على مدينة عكار (٤٢) فاجتمعنا بالاميرين المذكورين وكان الامير علي له تعلق بأهداب الآداب ، وتوثق من معرفته بأوثق الاسباب ؛ ولعمري لقد شاهدت دولة سيفية وشهدت بسعادة يوسفية وعانيت مجدا عاليا وجودا وافيا يشمل البعيد والقريب . وكانت بهما عكار صافية ، ووعود الزمان بالمراد لمن قصدها وافية ، فاشتهرت بعد الخمول وقُصِدَتْ حتى صارت محطّ الحمول ؛ ولعمري ان الدولة السيفية كانت وريفة الظلال باسمه الثغور عن عقود الاقبال . وقد مدحتُ صاحب انشاء الدولة المذكورة ، الامير يوسف ذو السيرة المشكورة بقصيدة ميمية ومدحت اخاه عليًا بأخرى رائية ، وانصرفتُ من عكار الى طرابلس الشام وطرفي لبرق اقبال هاتيك الديار قد شام ، ورأيت في الطريق بقايا حصن يقال له عُرْقَا (٤٣) وقد عرقه الدهر الجابر بمدينة جوره عُرْقَا ، وشاهدتُ تحامل الزمان على نواحيه وتشيتته لجموع ساكنيه وأهليه مع أنه من الحصون القديمة التي

(٤٢) النصوص المتوافرة بين أيدينا لا تشير الى مدينة تعرف بمكار بل تشير الى حصن مكار . فيقول عباد الدين اسماعيل أبو الفداء (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٢١ م) : « وعكار حصن في الجبل المذكور (جبل عكار) » . أما القلقشندي فيذكر ما يلي : « وهي قلعة على مرحلة من طرابلس في جهة الشرق بوسط جبل لبنان في واد ، والجبل محيط بها وشرب أهلها من عين تجري اليها من ذيل لبنان المذكور ولها ريش ليس بالكبير » . وكانت تشكل نيابات مملكة طرابلس الشام في العهد المملوكي ونيابتها امرة عشرة ونائبها يخاطب « النائب بحصن عكار » انظر ، تهويم البلدان ، حققه م . رينود والبارون ماك كوكين دي سلان ، المطبعة الملكية ، باريس ، ١٨٤٠ م ، ص ٦٨ ؛ صبح الاعشى في صناعة الانشا ، م ٤ ، ص ٨٥ ، ص ١٤٤ ، ص ٢٣٥ ، م ٧ ، ص ١٧٦ ، م ٩ ، ص ٢٥٣ ، م ١٢ ، ص ٤٦٤ — ٤٦٥ ، يورد المؤلف هنا نص كتاب تقليد لاحد النواب .

(٤٣) يعرف ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) ، عُرْقَا ، بقوله : « عرقه بكسر اوله وسكون ثانيه ... بلدة في شرقي طرابلس بينهما أربعة فراسخ وهي آخر حمل دمشق وهي في سلع جبل بينهما وبين البحر نحو ميل وعلى جبلها قلعة لها » ويذكرها أبو الفداء بقوله : « هي بلدة صغيرة ذات قلعة صغيرة ولها بساتين ونهر صغير ... » ، انظر معجم البلدان ، م ٦ ، تحقيق فردناند وستفيلد ليزج ، ١٨٦٨ م ، ٣ ، ص ٦٥٣ — ٦٥٤ ، تهويم البلدان ، ص ٢٥٤ — ٢٥٥ .

محت رسومه كل ديمية مستديمة . فلما دخلت طرابلس عجت من
 محاسنها ورايت عجائب البحر بالقرب من مساكنها ودخلت اليها
 مساليلة الاحد من اواسط ذي القعدة المنتظم في سلك شهور سنة
 ثمان بعد الالف من هجرة خير الانام عليه من الله الصلاة والسلام .
 ونزلت في منزل وكيل الامر علي اليوسفي السيفي وهو المسمى بعلي
 ابن المقدم وكان بين جماعته هو المشكور المقدم وكان النزول عنده
 باشارة استاذ المذكور بل بأمره الذي يطيعه كل مأمور ، فآكرمنا
 اكراما وواصل الينا انعاما وحبانا الطافا ومَنَّ علينا إسعادا وإسعافا ،
 وحضر الينا علماء طرابلس مسلمين ولدعوى العلم من جانبنا مسلمين .
 وقد صدر ان الامر يوسف بن سيفا حاكم مدينة طرابلس صاحب هذه
 الترجمة ارسل في اواسط سنة خمسة عشر بعد الالف الى باب
 السلطنة العلية بقسطنطينية المحمية يتطلب حكما سلطانيا منشورا
 خاتانيا ، بأن يكون راس العساكر الشاميّة وامير الامرا في هاتيك
 الولاية السنية لينتقم من علي بيك ابن الامر أحمد بن جان بلاد الخارج
 بحلب الشهاب الذي تباعد عن الطاعة وأبى ؛ فأجيب الى ذلك ، وظنَّ
 السلطان ايده الله تعالى انه قادر على ما هنالك وارسل اليه الحكم
 المطاع الواجب الاتباع بأن يكون رأسا على جميع العساكر ورئيسا
 لجميع الجماهر من حدود غزة والقدس ونابلس واللجون وعجلون
 والكرك الى حدود طرابلس وجبله واللاذقية وحمص وحماة وما هناك
 من الاكراد والترك والمغرب، وان يسعى على ازالة حكمه من حلب
 ونواحيها وان يعيد الحكم السلطاني في البلاد المذكورة من قوادمها
 الى خوافيها . فلما جاء الامر المذكور وتقدّر عنده الحكم المنشور
 ارسل الى حكام العباد وراسل الامرا في ساير البلاد فاجتمعوا في
 حماة وجعلها موطنه وجهاه، ومذهب هو أيضا اليها ونصب سراقته عليها .
 ونهض علي بيك من حلب الى هناك وتقبالا وتقاولا وتجاولا ، ذاك
 مع السكبانية الباغين وابن سيفا مع عساكر حضرة سلطان المسلمين ،
 ففقدّر الله تعالى ان الكسيرة الكبيرة وقعت على جانب عسكر السلطان،
 وخرج سيف ابن سيفا من الاجفان ولكنه ما عاد اليها بعد الخروج،

وقد قبل قدم الخروج قبل الولوج ، ففر الى الشام وما عرجوا على الخيام ، فيالها (١٥٠) من كسرة ما وجدوا بعدها نصره ، فلما دخل علي بيك الى مخيم الشاميين وابن سيفنا وراى هناك سعادة وسلاحا ورمحا وسيفا، قوي مزاجه وعزّ مع الغير امتزاجه، فأرسل الى ابن ممن فخر الدين يطلبه للاقبال اليه بعد انكسار الشاميين. فأقبل اليه وورد عليه وكان اجتماعهما عند منبع العاصي، وكان ذلك رسما لاجتماع العصاة من الداني والقاصي ، فاتفق رايهما ان يرسلوا الى طرابلس عسكر (١) يأخذها من يد ابن سيفنا واتباعه ؛ فعُيّن لذلك درويش بيك ابن عم علي بيك مع جماعة لتفريق جيش ابن سيفنا بعد اجتماعه ، فبادر ابن سيفنا الى الهرب من شدة الخوف والرهب الى ركوب السفينة بنفس لفراق وطنه حزينة وأبقى قلعة طرابلس حصينة بجيوش في ضمتها كمينه وجعل رأسهم مملوكه يوسف ، ودعا له بالحماية من موجبات التلّث والتأسف، واتخذ سبيله في البحر سريّا وقضى الناس من فراقه لاطوانه عجبا ، واخذ معه امواله الكثيرة وصحب محاسن أمتعته العزيزة وسار معه غالب اهل طرابلس من الرجال والنساء في مراكب متعددة وسفن في البحر متبددة فأ (ما) سفينته التي سار فيها فقد جُرّتها الريح الى قبرص (٤٤) ونواحيها، ودخل الى بعض مداين الجزيرة المذكورة ولم يجد ما رايه عندما قدم عبوره فطار في السفينة بأجنحة الشراع واقطع عن ذلك الساحل بقوادم القلاع وسار الى الجانب القبلي ملجأ ولم يلو على طرابلس معرجا حتى خرج من ساحل حيفا (٤٥) من توابع اللجون (جاءت الجون) ولم يسمع نصيحة

(٤٤) حول تاريخ جزيرة قبرص في العهد العثماني انظر :

Hill, Sir George, A History of Cyprus, vol. iv, Cambridge University Press, 1952, PP. 1 - 99.

ومعالمه : Dakkot, Besim, "Kibris" I. A., vol. vi, PP. 672 - 76.

(٤٥) حول النصوص الجغرافية التي تذكر حيفا انظر ما جمعه الاب مرمرجي الدومنيكي في بلدانية فلسطين ، بيروت ، ١٩٤٨ ، من ٦٥ . في سنة ١٤٥٥ هـ / ١٥٣٨ م كان عدد سكان حيفا عشرين خاتة جميعهم من المسلمين وربع حاصلاتها المدخوع

أخوانه الذين في نصحه يَلْجُونَ. وإما السفينة التي حلت امتنته المصونة واحتملت درره المكنونة فأتها صارت للنصارى غُنْماً ولقي بذهابها خسرانا وغرماء، وكاد (جاءت وكان) يقتل ويكيلها الذي أقامه عليها وجعله ناظرا وحافظا لديها ؛ والذاهب لا يعود والطوالع ليست متخضة للسعود، وإما مَنْ سار من رجال طرابلس ونسائها في صحبة الأمير ابن سيفا فانهم وَجَدُوا بِالْأَسْرِ حَيْفًا وليتهم لو تبعوه حتى دخلوا حيفا ، فاخذتهم النصارى وصاروا في قبضتهم أسارى، فكم عزيزة صارت في أيديهم ذليلة ومن مصونة أصبحت في قبضتهم بعد الصحة عليلة، وكم من عزيز في أيديهم قد دُلُّ ومن عظيم قد اُحْتَقِر بعد ما جَلَّ ؛ ولعمري أنها كانت لفضيحة قبيحة ومصيبة أصابت لعدم قبول النصيحة . ثم ان الطاغية الذي أسر نساء أهل طرابلس الشام مكث في نواحي قبرس

ـ للدولة كان يساوي ١٧٨١ اقجة . كما يشار الى وجود اسكلة (ميناء) فيها تتقاضى الدولة رسوما عن السفن التي ترده ، مقدارها الف اقجة سنويا ؛ والجدير بالذكر أن البحار العثماني يري محي الدين ريس (ت ح ١٥٥٥ م) يشير في وصفه لساحل فلسطين الى وجود قلعة مدمرة في حيفا الا ان بنيانها كان يصلح للرسو ، وبموجب احصاءات سنة ١٠٠٥ هـ / ١٥٩٦ م ، كان عدد سكان حيفا ٣٢ خانة جسيمهم من المسلمين ومجموع ما يتحصل منها عشرة آلاف اقجة . الا أن هذا الاحصاء لا يشير الى رسوم الاسكلة مما قد يوحي بانها كانت معطلة كميناء . انظر طابو دفترى رقم ١٩٢ (اسطنبول) ، ص ٢ ، طابو دفترى رقم ١٨١ (أنقرة) ، ص ١٩ - ٢٠ .

Heyd, U. "A Turkish Description of the Coast of Palestine in the Early Sixteenth Century", Israel Exploration Journal, vol. vi, (1956), pp.210-211.

انظر ايضاً : . vol. iii, PP. 324 - 26. "Hayfa", E. I^٢

راجع بالاضافة الى ما ذكر اعلاه جميل البحري ، تاريخ حيفا ، المكتبة الوطنية ، حيفا ١٩٢٢ م .

من أجل مقارنة حيفا مع كل من يافا والناصرية في القرن السادس عشر انظر مقالتي : Bernard Lewis : "Nazareth in the Sixteenth Century, According to the Ottoman Tapu Registers".

"Jaffa in the 16th Century, According to the Ottoman Tahrir Registers", in Studies in Classical and Ottoman Islam Variorum Reprint, London, 1977, PP. 416 - 446.

كاسبا للآثام ، وشرع يبيع النساء لرجالها ، وينادي لكل فرقة وعيالها ،
 مبلغ الناس في النساء مبلغا عظيما وثمنا جسيما لكن مع الفضيحة
 الكاملة والحسرة الشاملة التي احرقت القلوب وعظمت الكروب ، وكان
 الرجل ينظر زوجته مأسورة ، ويرى جاريته منظورة والمنادي ينادي في
 كل نادي، فمنهم من يقدر على الفكك ومنهم من يستقى من الإثراك في
 الأثراك، ومنهم من يفك نفسه دون اهله فيذهب عنها وقد فقد نور
 عقله، فكم من بكر جبيلة الصورة أصبحت في يد المشركين وهي مأسورة ،
 وكم من غلام يفوق البدر عند التمام ، وقد ناح عليه أبواه عند الفراق
 وذاب منهما الجسم بشديد الاحتراق، وذلك من اعظم المصائب واشد
 النوايب . وأما ابن سيفا فإنه خرج من البحر ضيفا عند الامير
 أحمد (٤٦) ابن المرحوم الامير طرباي ابن الامير علي الحارثي، وهو
 الآن أمير لسواء اللجون (٤٧) فقام اليه مكرما ولنزوله معظما واطهر
 له ما يليق بأمثاله من أكارم الأمرا وأمر الأكارم ، وبرز له ما يساوي

(٤٦) حول حياة الشيخ أحمد بن طرباي الحارثي ، (ت ١٠٥٧ هـ / ١٦٤٧ م) ، أمير
 لسواء اللجون ودور أسرته في تاريخ سنجق اللجون بشمال فلسطين منذ أواخر
 العهد المملوكي، انظر المحبسي ، خلاصة الاثر ، م ١ ، ص ٢٢١ - ٢٢٢ . كذلك
 مقالة موشي شارون :

"The Political Role of the Bedouins in Palestine in the Sixteenth and
 Seventeenth Centuries", in Studies on Palestine during the Ottoman
 Period, edited by Moshe Maoz, Jerusalem, 1975, PP. 11 - 30.

كذلك دراستي : الأسرة الحارثية في مرج بنسي عامر ٨٨٥ هـ / ١٤٨٠ م - ١٠٨٨ هـ /
 ١٦٧٧ م . المقدمة لندوة تاريخ العرب الحديث ، جامعة عين شمس ، القاهرة ،
 ٧ - ١٢ أيار ١٩٧٧ ، (تحت الطبع) .

(٤٧) حول لسواء اللجون انظر دراستي المشار اليها سابقا خاصة هامش رقم ٢ ،
 ص ٢٥ . ولقد كان هذا اللواء يشمل النواحي التالية : شفا ، ساحل مقلبت ،
 ناحية شعرا وناحية جنين ، لمزيد من التفاصيل انظر :

Wolf Dieter Hutteroth and Kamal Abdulfattah, Historical Geography
 of Palestine, Transjordan and Southern Syria in the late 16th Century,
 Erlangen, 1977, PP. 157 - 161.

البحار الزاخرة من المكارم ؛ والحال ان ابن سيفاً طُلِعَ الى الامر المذكور وليس معه من جماعته سوى سبعة رجال على ما هو مشهور (١٥٠ ب) غير ان معه من الاموال ما لا يدخل تحت الاحصاء ولا يشمله الاستقصاء ، وارسل علي بيك ابن جان بلاد الى الأمير احمد طرباي رسالة تشتمل على ما معناه ، أنك يا امير احمد اجتهد في قتل ابن سيفاً وجرد في قتله وقتاله رمحا وسيفاً ولك المال بأسره وتحزنا لنا الرأس فبادر بذلك فلا حرج عليك ولا بأس ، وان لم تفعل جوزيت منا بالعتاب او بغاية التعزير والعقاب . فاجاب بأن هذه كلمة لا تقال ، ومَن وقع في مثل هذا فعثرته لا تقال ، ليس ذلك من فعل الامرا ولا من شأن الاعيان والكبرا ؛ كيف يكون ضيفي ويناله رمحي وسيفي ؟ ثم انه بادر الى اهداء الخيول المسومة (٤٨) وتقديم الضيافات المعظمة وقال له مرحبا بك يا امير واهلا بجودك الخطير ، لو كان لي مال لقدّمته اليك ووضعت بين يديك ، ولكن عندي خيول ليس لها مثيل ولا يشابهها جواد ولا في التمثيل ، وفيها جواد جيد قوي ايد جموح ابي ما علا ظهره احد بعد ابي ، وهو لك مني عطية راضية مرضية ليس فيها منة عليك بل هي نعمة منك اليك ؛ ثم انه اضاف اياما عديدة وخدمته خدمة سعيدة واكرم مثواه واجلّ ممشاه ؛ ثم انه ارسل الى عسكر الشام يطلبهم الى بلاد اللجون فساروا اليه ووردوا عليه ، فسار معهم على

(٤٨) يلاحظ انه عند عودة الأمير فخر الدين المعني من ايطاليا ، بناء على موافقة السلطات العثمانية سنة ١٠٢٧ هـ / ١٦١٧ م ، الى صيدا عبر عكا ، ان الأمير احمد الحارثي « ارسل كخداة بتقدمة الخيل ايضا التي ترتضيها الفواة » . راجع الشيخ احمد بن محمد الخالدي الصفي ، تاريخ الأمير فخر الدين المعني ، ص ٦٩ .

طريق حوران (٤٩)، ولم يسر على جُـبّ يوسف (٥٠) وأرض كنعان (٥١) خوفاً من الأمير فخر الدين ابن معن فإنه عُدُوهُ وعند (٥٠) أصحاب الضرب والظعن ، فلما دخل الى أرض الشام وجد أهلها في

(٤٩) في أواخر القرن السادس عشر الميلادي كانت حوران تشكل قضاء من ضمن منجق دمشق الشام ، وشمل هذا القضاء النواحي التالية : ناحية البطيحة ، ناحية الجولان الغربي ، ناحية الجولان الشرقي ، ناحية الكارات ، ناحية بنسى كاتنة ، ناحية بنسى جهة ، ناحية بنسى مائكة ، ناحية بنسى الأحمر ، ناحية جيدور ، ناحية بنسى كلاب ، ناحية بنسى مالك الصدير ، ناحية بنسى مالك الأشراف ، ناحية البننية ، ناحية بنسى عبد الله ، ناحية بنسى صرما ، ناحية بنسى مقلد وناحية بنسى نشبة، وليست نشبة كما جاءت عند Hutteroth انظر : Bakhit, M. A. The Ottoman Province of Damascus in the 16th Century, Ph. D. Thesis, London, 1972, PP. 85 - 93, (in the press),

والملاحظ أن الأستاذ هوتروث يضيف ناحية أخرى هي ناحية بنسى مطية ، انظر هوتروث ، المرجع ذاته ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

(٥٠) جب يوسف بالقرب من نابلس ؛ فيما يتعلق بهذا المكان انظر ما جمعه عنه الأب مرمجي الدومينيكي ، بلدانية فلسطين ، ص ٤٩ - ٥٠ .

(٥١) أرض كنعان (الأرض المنخفضة أو الفلور) ، كانت في البداية تُطلق على بلاد الساحل ثم اتسع مدلولها ليشمل بلاد سورية الجنوبية الغربية بأكملها . إلا أن مفهوم الجغرافيين المسلمين لهذه البلاد كان على الأرجح يقتصر على الشمال الشرقي لبلاد فلسطين . يذكر أبو الفداء وادياً يُعرف بوادي كنعان فيه شعبة تعرف باسم كمرلا تبعد من جب يوسف اثني عشر ميلاً وأنها بالقرب من باتياس . كما أن الشيخ صدر الدين أبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن الدمشقي الشافعي العمشاني (ت ٧٨٠ هـ / ١٣٧٦ م) يذكر صلد بقوله « أما صلد نفسها فحصن منيع بقنة جبل كنعان » راجع ياقوت : معجم البلدان ، م ٤ ، ص ٣١١ - ٣١٢ ، أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٢٤٨ - ٢٤٩ ، ص ٢٧٠ - ٢٧١ .

Bernard Lewis, "An Arabic Account of the Province of Safad" BSOAS, vol. xv, (1953), P. 479.

فيما يتعلق بالمفهوم التوراتي لهذه البلاد ، انظر :

Smith George Adam, The Historical Geography of the Holy Land, New York 1907, PP. 4-5.

كذلك الخارطة رقم (٢) المرفقة بكتاب :

Yeivin, Sh., The Israelite Conquest of Canaan, Nederlands Historisch - Archaeologisch Institute, Istanbul, 1971.

الخيـام وهم في انتظار العساكر القادمة من الأطراف لحصول الإسعاد منهم والإسعاف على ابن جان بلاط ومن معه من الاخلاط كابن معن ويونس (٥٢) ابن الحرفوش، وكل من باطنه خاين مفضوش ؛ فانهم لما كسروا جيوش ابن سيفا على حماه حرس كل منهم بيت المغرور وحماه، وقصدوا طرابلس الشام فهتكوا حريمها ولم يبق لها احترام، وأقام بها درويش ابن حبيب ابن جان بلاط مدة يفسد فيها ومن معه من الاخلاط الى ان أصبحت قاعا صنفصفا وما عفا عن أهلها ، فما هي من ظلمه عفا ، لا سيما بيوت توابع ابن سيفا فانه قد أورثهم حيفا، اللهم الا قلعة طرابلس المحمية فانها نجت من حوادث البلية، وما ذاك الا ان يوسف مملوك ابن سيفا حماها وحصن ريعها وموطنها وحماها ، وكان يلقي من باطن القلعة المذكورة نيرانا محرقة يخرب بها بيوت اكابر طرابلس، لا سيما بيوت التابعين لابن سيفا . ولما وصل درويش ابن حبيب الى طرابلس الشام وأوصل الى أهلها ما قدر عليه من التعدي والالام ذهب علي بك ابن عمه وابن معن الى نواحي بعلبك فأحرقوا ريفها ونهبوا المدينة وما قدروا عليه من قراها، واستمروا راحلين الى ان استقرّوا في البقاع وأنزلوها في الحضيض بعد اليفاع. ولنذكر في أثناء هذه الحكاية (التي) توجب غاية النكايه، وهي ان الامير موسى ابن الحرفوش أمير الامراء ودار الامجاد الكبرا فخر بني حرفوش بالاتفاق؛ بل هو فخر امراء الشام على الإطلاق، كرم لا يباريه الغمام وعهد صادق العقدة في غاية الإبرام وشجاعة فاقت على الاسود وأصالت على كل ذي أصل يسود ، نهض من بعلبك وهو حاكمها الى نواحي حمص مستقبلا لابن جان بلاط وجيوشه ، مداراة

(٥٢) جاءت في النص يوسف بن الحرفوش، والأصح كان اسمه يونس بن حسين بن موسى الحرفوش الذي أصبح « أمين بلاد بعلبك » بدل عمه الأمير موسى بن علي الحرفوش الذي كان ذا ميول سنية، وتدخل للمصلح ما بين علي بن جاتبلاط من جهة وما بين يوسف باشا سيفا من جهة أخرى، الا انه فشل في مهمته وهرب مع يوسف باشا سيفا ؛ انظر البوريني ، تراجم الاعيان ، م ٢ ، ص ٢٧٥ ، ايضا ورقة ١٤٨ ب ، ١٤٩ ا ، الحببي ، خلاصة ، م ٤ ، ص ٤٣٢ - ٤٣٣ .

عن عرضه ومحاماة عن أرضه، فتحدانا وتقاولا وتشاورا فيما صدر
وتجاولا، فقتل الأمير موسى هلاً تعطيني عهداً على الصلح به جرح
الخراب موسى، وأنا اذهب الى الشام وأخذ لك العهد الوثيق من
الانام، فقتل اذهب سليماً وكن يا موسى كليماً، فحضر الى الشام
ورمي من عسكرها بغاية الكلام لشدة ما اوجعوه بغيظ الكلام ظناً
من جهلائهم انه عليهم، وما كان الا ناويا سوق الخير اليهم، (١٥١) /
فلما حضر الى أمير الامرا قال له بما قد جيئت على قدر يا موسى
فجرّد سيف عزمك لعله يُذهب البوسى، فقتل يا أمير الامرا : ابن جان
بسلام يطلب منك ان تعطوا حوران لعمرى (٥٣) البدوي من العرب
المفارقة، والباق العيزي لابن الفريخ (٥٤) منصور بن بكري، وأدخلوا

(٥٣) عمرو البدوي هو عمرو بن جبر شيخ عشيرة المفارقة، خليف فخر الدين المعني،
كان رشيد بن سلامة بن نعيم شيخ السريدين من المفارقة يناسه على المشيخة
في حوران، وكان رشيد موضع عطف الدولة العثمانية، حيث أعطي سنة ١٠٢١ هـ /
١٦١٢ م، المشيخة بحوران حول دورها في معركة الصراع القيسي - البيني،
انظر البوريني، المصدر ذاته، م ٢، ص ٢٢٤ - ٢٢٥، ص ٢٢٢ - ٢٢٣،
انظر كذلك نص البوريني الموجود في مكتبة جامعة ليدن باسم : كراستان نُقِلَتْ
من خط الشيخ حسن البوريني Cod. or. 1515 ورقة ١٤،
حيث ان هذا النص يتفق مع النص الذي نشره صلاح الدين المنجد في
هاش من ٢٢٥ من المجلد الثاني، راجع ايضا الشيخ أحمد الخالدي الصندي،
المصدر ذاته، ص ٨، ٩، ١٠، ص ١١، ص ١٣.

(٥٤) الأمير منصور بن الفريخ (ت ١٣ ربيع الثاني ١٠٠٢ هـ / ٦ كانون الثاني ١٥٩٤ م)
قُتِلَ في دمشق بأمر من السلطان بناء على رغبة والي دمشق آنذاك مراد باشا،
ولقد كان أمير البقاع العيزي بعد القضاء على أسرة آل الحنش البدوية السنية
أعطي حكومة نابلس وإمارة الحاج والقرم أموالاً للدولة على صند، كان يقف
ضد الدروز والمعنين خاصة : ترك عشرة أولاد أكبرهم قرقباس الذي قُتِلَ على
يد الأمير موسى بن الحرفوش في ١٠٠٣ هـ / ١٥٩٤ م، بإيعاز من فخر الدين
المعني بعد أن رفض الأمير يوسف باشا سيفاً ابواءه . من هنا نرى أن منصور
بن الفريخ قد قُتِلَ قبل هذه الحوادث . ولربما اختلط الأمر على الناسخ فخلط
ما بين اسم ابن الفريخ واسم الأمير فروخ بن عبد الله الجركسي أمير الحاج
الذي تولى حكومة نابلس وعجلون والكرك سنة ١٠٢١ هـ / ١٦١٢ م، وإمارة
الحاج . ولم يزل في هذا المنصب الى ان مات بمكة المشرفة في سنة ثلاثين والف

كيوان (٥٥) الى الشام كما كان ، واكتبوا عرضا بان ابن جان بلاط لم يدخل الى أرض الشام ، وان ابن معن فخر الدين يؤدي ما عليه من مال السلطان،وبلاده موصوفة بالامان ؛ فعقدَ امير الأمرا ديوانا لهذه المطالب ، التي جاء الامير موسى وهو لها طالب ، فاتفقوا على أن حوران تعطى لعمره ولكن في السنة القابلة،وأما البقاع فان اعطاءه لنصور المذكور غير معقول ، لكونه عند الرعايا غير مقبول ، وأما كيوان فانه يرجع الى الاوطان وعليه ما على الناس من الامان ، واليمين من جانبنا لازمة لجميع الاخوان وقد كنت حاضر (١) في الديوان بدعوة من وكيل السلطان،فقال امير الامرا وهو الوكيل للفقيه العليل : اكتب لنا صورة مكتوب الى ابن جان بلاط واخبره بما جرى عليه الاتفاق من قبول دخول كيوان والعفو عنه وعن ذنوبه،ومن وعده باعطا (جاءت باعطا) حوران ، لعمره في السنة القابلة،ومن الاعتذار من عدم اعطا البقاع لنصور بن الفريخ ابن بكري.وأخبره بأن المحضر سيصل اليه بما طلب في حقه وفي حق ابن معن . فلما انفض الديوان على ذلك وقع الاتفاق على أن يحضروا في اليوم الثاني الى بيت رجل من الجند الشامي يقال له تركمان (٥٦) حسن فاجتمع

= (١٦٢٠ م) انظر احمد الخالدي الصفي ، المصدر ذاته ، ص ٧ ، ص ٨ ، ص ٩ ، ص ١٦ ، ص ٢٧ ، ص ٣٥ ، الغزي ، لطف السر ، ورقة ٢١٢ ب - ٢١٣ ، الجبسي ، المصدر ذاته ، م ٣ ، ص ٢٧١ ، م ٤ ، ص ٤٢٦ - ٤٣٢ .

(٥٥) كيوان بن عبد الله (ت ١٠٣٣ هـ / ١٦٢٣ م) ، زعيم الجناح العسكري بدمشق المتعاون مع فخر الدين المعني ، كانت نهايته على يد فخر الدين نفسه . حول دوره في معركة الصراع ما بين العسكر في دمشق واستغلال العسكر للصراع القيسي - البيني في صراعهم ذاك ، انظر الغزي ، لطف السر ، ورقة ٤٣ ب - ٤٤ ، ا ب ، ب ، الجبسي ، المصدر ذاته ، م ٣ ، ص ٢٩٩ - ٣٠٣ .

(٥٦) تركمان حسن المقصود به حسن باشا ابن عبد الله الامين الكبير المعروف بشويزة حسن من صدور دمشق واعيانها الذي كان يرجع اليه في المهمات ويعول عليه في الامور،وكانت تناط به امور دمشق عند غياب ولاتها . توفي سنة ١٠٢٧ هـ / ١٦١٧ م . احتل ابنه محمد دورا مماثلا الى حين وفاته سنة ١٠٧١ هـ / ١٦٦٠ م . حول حياتهما انظر ، الغزي ، لطف السر ، ورقة ٢٩ ب ، ٣٠ ، الجبسي ، المصدر ذاته ، م ٢ ، ص ٢٤ - ٢٧ ، م ٣ ، ص ٤٢٧ - ٤٢٨ .

الجند كله في بيت الجندي المذكور ما عدا الوكيل الاكبر عن السلطان وقاضي القضاة فانهما ما حضرا ولا استحضرا. فوقع الاتفاق على كتابة مكتوب مرغوب خطابا لعلي بيك ابن جانبلاط بما سبق من الاتفاق، وعلى كتابة ديباجة محضر بأن المذكور ما وطىء ارض الشام، وأن ابن معن يوصل مال السلطان في محله ، وبلاده آمنة الطرقات . فأما المكتوب فقد كُتِبَتْهُ وَخَتَمَهُ اعيان الجند، وأما المحضر فانه عرض على الشيخ محمد بن سعد الدين (٥٧) فما قبل معناه ولا رضي بفحواه، وأبرق وأرعد وما وعد ، بل توعد و (قال) انا انا لا اكتب هذا ولا ارتضيه ولا أقبله ولا أمضيه ؛ فرجع الامير موسى الى ابن جانبلاط بغير المراد ، فعند ذلك قال ابن جان بلاط ما يظهر مقامي عند جند الشام الا باظهار البرهان ، واظهار السيوف البارقة والخرصان (٥٨). وقام من يومه قاصدا بلاد بعلبك وبلاد البقاع، وتخريب الاماكن والبقاع ؛ وأما الامير موسى ابن الحرفوش فانه استمر هاربا من ابن جانبلاط الى دمشق، فأخبرهم بأنه ترك الجماعة قصدا للموت على الطاعة ، واقتضى حضوره الى دمشق حضور جند ابن جانبلاط وحشرات ابن معن الى بعلبك فنهبوها ، والى من بقي من النساء والرجال ففرّقوها ، وخيّم ابن جان بلاط وابن معن في البقاع العزيزي ، وانحاز اليهم يونس بن الحرفوش ومن معه من اولاد عمه مغاضبا لحضرة الامير الكبير ذو القدر الخطير الامير موسى ابن عم يونس المذكور ، وخرج الجند الشامي الى الميدان الاخضر بدمشق وخيّموا هناك، واستحضروا سنجد القدس وسنجد نابلس وسنجد غزة وسنجد اللجون وسنجد

(٥٧) الشيخ محمد بن سعد الدين الجبائي (ت ١٠٢٠ هـ / ١٦١١ م) ، شيخ الطريقة الجبائية بدمشق كان ملكا كبيرا ، وكان يتوسط لدى الحكام نيابة عن الرعية خاصة عند زيادة الضرائب. لمزيد من التفاصيل حول حياته راجع البوريني ، المصدر ذاته ، م ١ ، ص ٣٠٥ - ٣٠٦ ، الغزي ، لطف السر ، ورقة ٦ ب - ١٧ ، المحبي ، المصدر ذاته ، م ٤ ، ص ١٦٠ - ١٦١ .

(٥٨) خرصان : جاءت خرصان ، أما الخرصان فهي الرياح ، انظر لسان العرب ، م ٧ ، ص ٢١ - ٢٤ .

عجلون، وأما صد فانها كانت مع فشر الدين بن معن وهو كان مع
المخالفين الخارجين. ولهم تزل الجند تتزايد في دمشق، وكذلك عسكر
الخوارج فانه أيضا كان يزيد. وترددت الرسل في الصلح من الجانبين
فما حصل اتفاق، واختلفت آراء الجند الشامي فمنهم من كان يميل
الى الصلح ومنهم من كان يميل الى القتال، حتى أن ابن جان بلاط أرسل
من خوارج جماعة الى دمشق (١٥١ ب) يطلبون الصلح فما رضي
بذلك رأس جاويشة العسكر الدمشقي، وهو محمد الشهير بابن الدردار (٥٩)،
وخرج العسكر الشامي من الميدان الأخضر الى مكان يسمى العرادة (٦٠)
وزحف ابن جان بلاط وابن معن ومن معهم الى مقابلة العسكر الشامي.
ومع ذلك أيضا فان ابن جان بلاط كان يُظهر إرادة الصلح، فما وافق
على ذلك ابن الدردار المذكور ومن تبعه من الجند الشامي ؛ والقدرة
غالبة ويد الله غالبية . وفي أواسط جمادى الآخرة من شهور سنة
خمس عشرة بعد الالف زحف الفريقان، ووقع بينهما القتال، فما فانت
ساعة أو قريب من ساعتين وإذا بالعسكر الشامي قد رهب فهرب ،
مع كثرة عدده ووفور عدده. وبالله لقد أخبرني من رأى الفريقين أن
خيل أهل الشام حزرت فكانت تناهز أربعين ألف فرس، وكانت عددهم
وآلة (جاءت الت) حربهم في غاية القوة والمتانة، ولكن جند الله
غالب وقدره سالب ؛ ولما هرب أهل الشام انقسموا فرقتين، فواحدة
ذهبت الى أذرعاء (٦١) في أواخر أرض حوران هربا من ابن جان بلاط

(٥٩) لم أعثر له على ترجمة في المصادر المتوافرة لدي .

(٦٠) العرادة تقع الى الجنوب الغربي من دمشق .

(٦١) أذرعاء ، كانت في العهد الفاطمي كما نقل أبو الفداء عن حسين بن أحمد
المهلبى (ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م) صاحب كتاب المسالك والممالك المعروف
بالعزيزي ، « مدينة كورة البنية » ؛ ويذكر ياقوت أنها « بلد في أطراف الشام
يجاور أرض البلقاء وعمان، ينسب اليه الخير ». في القرن السادس عشر كانت
تقع في ناحية بني مقلد. وتذكرها دفاتر الطابو باسم « قرية مدينة أذرعاء »
وأنها كانت خاص ميرمان . بلغ عدد سكانها حوالي سنة ٩٢٠ هـ / ١٥٢٣ م
ثمانى عشرة خانة مسلمة ، ليرتفع عدد سكانها حوالي سنة ٩٥٠ هـ / ١٥٤٣ م ،
الى ثمان وأربعين خانة مسلمة وخمسة مجريدين وخانة مسيحية واحدة ،

وابن معن، واخرى رجعت الى الشام. والراجعة الى الشام قسمان، القسم الاول ساروا متفرقين مشتتين، والقسم الثاني مكثوا في دمشق محاصرين، وغلقت الابواب وتها من بها للحراب، فقصدها حزب العدو ونهبوا ما كان خارج السور من المساجد والخانات والاسواق والدور، وانبت الخوارج الأشقياء في البيوت الواقعة خارج دمشق، واخذوا الأسباب عن آخرها الا قليلا تخبوا تحت الارض، وأسروا كثيرا من الاولاد وتحاموا الحريم من النساء؛ وذهب ابن سعد الدين الشيخ محمد الى ابن جان بلاط وهو نازل على قرية المزة (٦٢) فما قابله بالمزة، وطلب منه حاميا يحمي محلته المعروفة بالقبيبات (٦٣) فاعطاه

= انظر : ياقوت ، معجم البلدان ، م ١ ، ص ١٧٥ - ١٧٧ ، ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٢٥٢ - ٢٥٣ ، طابو دفترى ٤٣٠ (اسطنبول) ، ص ٥٥٥ ، طابو دفترى ٤٠١ (اسطنبول) ، ص ٦٧٠ .

(٦٢) المزة بالكسر ثم التشديد .. وهي قرية كبيرة غناء في وسط بساتين دمشق ويقال لها مزة كلب . كان عدد سكانها في النصف الاول من القرن السادس عشر على النحو التالي :

طابو دفترى رقم (٤٠١)	طابو دفترى رقم (٢٦٣)
(ح ٩٥٠ هـ / ١٥٤٣ م) اسطنبول	(٩٥٥ هـ / ١٥٤٨ م) اسطنبول
(١٥٠) خانة مسلمة	(٢٦٢) خانة مسلمة
(٣٥) مجرد مسلم	(—————)
(١) خانة مسيحية	(٣) خانة مسيحية
طابو دفترى رقم (٤٠١) ص ٦٠ - ٦١	طابو دفترى رقم (٢٦٣) ص ١٨٢ - ١٨٥
ياقوت ، معجم البلدان ، م ٤ ، ص ٥٢٢	

(٦٣) القبيبات : يعرفها الشيخ محمد احمد دهبان بانها « محلة مشهورة في الميدان قرب الجامع الكرمي » جامع الداساق » سميت بذلك لان اكثر بيوتها ذات قباب ولا يزال بعضها باقيا الى الان . انظر القلائد الجوهري في تاريخ الصالحية لابن طولون ، م ٢ ، تحقيق الشيخ دهبان ، دمشق ١٩٤٩ ، ١٩٥٦ ، م ١ ، ص ١١٠ (الهامش) . كان عدد سكان هذا الحي بموجب دفاتر الطابو على النحو التالي :

طابو دفتر (٤٠١)	طابو دفترى (٢٦٣)	طابو دفترى (٤٧٤)
(ح ٩٥٠ هـ / ١٥٤٣ م)	(٩٥٥ هـ / ١٥٤٨ م)	(٩٧٧ هـ / ١٥٦٩ م)
(٢٧٢) خانة مسلمة	(٣٧٩) خانة مسلمة	(٣٩٨) خانة مسلمة
(٦) مجرد	(٦) مجرد	(١٢) مجرد
ص ٤٤ - ٤٥	(١) خانة مسيحية	(١) خانة مسيحية
	ص ٤٢ - ٤٨	ص ٧٢ - ٧٩

رجلا من السكبانية يقال له عقيل فمكث عنده حاميا بيته وحده ، ولم يَحْمِ بيتا من القبيبات سوى بيته. على أن بيته قد اخذ منه خيله وبغاله ودوابه وغالب ماله النقد، فكان الحامي يحمي لنفسه . أما أهل القبيبات فقد عُذِّروا من شيخهم المذكور لانه قال لهم من رفع يده للقتال كان من المقتولين ، فالتقوا سلاحهم وظنوا انهم يُرَحِّمون بترك قتالهم، فما كان لقاء السلاح الا سببا لخراب الديار وعدم حماية الذمار ، فاجتمع عليهم الذلّ والجبن ونهب المال وبعض الاولاد، والله تعالى ينتقم من أهل الغرور والعناد ؛ واستمرّ النهب في المحلات الخارجة عن سور دمشق ثلاثة أيام ولم يبقوا صامتا ولا ناطقا ولا ولدا صغيرا من أهل الاسلام، وما نجا سوى أهل محلة الشاغور (٦٤) فانهم حاربوا الخوارج خارج السور وقتلوا منهم ما يزيد على ثلاثين رجلا بالخصوص. وقد قتل من الخوارج في الايام الثلاثة في نواحي بساتين دمشق وعلى ابوابها وبين بيوتها ما يقرب من ألفي رجل ، وغالب القتل كان من شباب دمشق وأحداثها . وأما ابن سيفا فانه ما خرج مع الجند الشامي الى القتال، فاستمرّ محتجبا في البيوت مع النساء لا الرجال زاعما أنه مريض، فلما بلغت كسر العسكر خاف وعَمَّ أعضاه الارتجاف

(٦٤) الشاغور ، أحد الاحياء الخارجية لمدينة دمشق ، تذكر دفاتر الطابو الشاغور البرانسي والشاغور الجواني. وكان عدد سكانها كما يلي :

١ - الشاغور البرانسي

طابو دفترى (٤٠١)	طابون دفترى (٢٦٣)	طابو دفترى (٤٧٤)
(٥٥٩) خانة مسلمة	(٤٣٦) خانة مسلمة	(٥٣٦) خانة مسلمة
(٤٢) مجرد	(—)	(١٧) مجرد مسلم
(٢) خانة مسيحية	(—)	(٤) خانة مسيحية
ص ٢٦ — ٢٩	ص ٨٢ — ٨٨	ص ٩٢ — ١١٠

ب - الشاغور الجواني

طابو دفترى (٤٠١)	طابون دفترى (٢٦٢)	طابو دفترى (٤٧٤)
(٣٢٧) خانة مسلمة	(٢٦١) خانة مسلمة	(٢٢٠) خانة مسلمة
(٣٠) مجرد مسلم	(١٩) مجرد مسلم	(٨) مجرد مسلم
(٦) خانة مسيحية	(٤) خانة مسيحية	(٢) خانة مسيحية
(١٣) شريف	ص ٨٨ — ٩٢	ص ٨٧ — ٩٢
ص ٢٩ — ٣٢		

فوزن لقاضي دمشق وبعض أعيانها ما يزيد على مائة ألف غرش، وهي التي كانت سبباً لخلاص المدينة من حصار ابن جان بلاط وابن معن، وذلك أنه أعطى المال المذكور وفتحت له أبواب دمشق ليلاً ونجاً برأس حمراه، ونجاً وخرج مع البازي عليه سواد وسار معه بعض الجند الشامي، وسار معه أيضاً المرحوم الأمير موسى ابن الحرفوش، ولم يزلوا معه حتى وصل إلى حصن الأكراد (١٥) واستحصن به لأنه كان محفوظاً مع عمه الأمير محمود ابن سيفاً. وقبض ابن جان بلاط المال (١٥٢) الذي أعطاه ابن سيفاً ورجل عن دمشق بعد الأيام الثلاثة، وذهب متوجهاً إلى نواحي حلب، وسيشرب في مجلسه ما جلب وحلب. وللقصة تمة مفيدة تذكر أن شاء الله تعالى في هذا الكتاب بالخصوص لأنها مشروحة في فصل بها مخصوص، والله أعلم .

(٦٥) يذكرها ياقوت في مده بقوله « حصن الأكراد على الجبل المقابل، وهو بين بعلبك وحمص، وكان بعض أمراء الشام قد بنى في موضعه برجاً وجعل فيه قوماً من الأكراد طليعةً بينه وبين الفرنج، وأجرى لهم أرزاقاً فتدبروها بأهاليهم ثم خانوا على أنفسهم في غارة فجعلوا يحصنونه إلى أن صارت قلعة حصينة منعت الفرنج عن كثير من غاراتهم، فنزلوه فباعه الأكراد منهم ورجعوا إلى بلادهم. وملكه الفرنج وهو في أيديهم إلى هذه الغاية. وبينه وبين حمص يوم ولا يستطيع صاحبها انتزاعها من أيديهم. ويذكر أبو الفداء أنه كان مقرراً ولاية السلطنة قبل فتح طرابلس . أما القلقشندي فيذكر أنه إحدى نيابات مملكة طرابلس الشام ونيابته امرأة عشرة ورسم المكاتب للنائب « النائب بحصن الأكراد ». ياقوت ، معجم البلدان ، م ٢ ، ص ٢٧٦ ، أبو الفداء ، كتاب تقويم البلدان ، ص ٢٥٩ ، القلقشندي ، صبح الأعشى ، م ٤ ، ص ٨٥ ، ٢٣٥ ، م ٧ ، ص ١٧٦ . راجع المادة التي أوردها عز الدين بن شداد (ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م) . عن حصن الأكراد في كتابه « الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة » ، تحقيق سامي الدهان ، منشورات المعهد الفرنسي ، دمشق ، ١٩٦٢ ، الجزء المتعلق ببلدان الأردن ولبنان ، ص ١١٥ - ١٢٠ .

انظر كذلك :

Elisseeff, N., "Hisnal-Akrad" E. I vol. III, PP. 503-506.